١٠٠ يوم ثورة

٢٥يناير .. شعب يصنع تاريخ المستقبل

١٠٠ يوم ثورة

٢٥ يناير .. شعب يصنع تاريخ المستقبل

أحمد عبد العليم

الطبعة الأولى ،٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

٠ ١ش عبد الهادي الطحان ، المرج **القاهرة**

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

كريم آدم

تدقيق لغوي

د/ إيمان الدواخلي

رقم الإيداع :٢٠١١/١٢٥٦

I.S.B.N: ٩٨٧-٩٧٧-٤٨٨-١٥٦-٠

١٠٠ يوم ثورة

٢٥ يناير .. شعب يصنع تاريخ المستقبل

أحمد عبد العليم

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى الرئيس مبارك .. وولديه علاء وجمال .. وأمهما سوزان ثابت .. وكل رجال نظام مبارك الذين كانوا – هم – أهم أسباب نجاح ثورة ٢٥ يناير



امتنان

إلى أخي رؤوف، أول من قرأ لي .. وأكثر من قرأني الذي زرع بداخلي بذرة الكاتب دون أن أدري فكان النَبت ما أكتب الذي أضاف لقيمة الكتاب بقدر ما أضاف لقيمة الكاتب هو يرى دائماً أحلامه .. أنا، وأنا أراه دائماً أنبل أحلامي له كل الحب والود والاحترام



مقدمة

الكتاب هو محاولة من أجل التأريخ والتوثيق، حتى لا يضيع تاريخ الثورة المصرية في ٢٥ يناير، كما ضاع الكثير من تاريخنا الحديث، وربما هي محاولة لعرض وجهة نظر عن ثورة ٢٥ يناير، هي شهادة تحمل مشاهد كثيرة.

يحاول الكتاب تقديم ثلاثة مراحل تتعلق بثورة ٢٥ يناير. الأولى ما قبل الثورة، حيث مصر التي وصلت إلى مرحلة غير مسبوقة من الانفجار، والثانية تتعلق بمصر في ١٨ يوما، هم عُمر الثورة المصرية، حيث ظهرت مصر كيوتوبيا، ومدينة فاضلة، والثالثة تتعلق بمصر بعد ثورة ٢٥ يناير.

الجزء الأول بعنوان "مصر قبل ٢٥ يناير"، وهو عبارة عن مجموعة مقالات نشرت لي في الثلاثة أشهر السابقة للثورة، والمقالات تم وضعها كما نشرت دون أي تعديل، وتم إضافة مقال مصر يوم ٢٤ يناير.

كان من المهم قبل أن نتحدث عن ثورة ٢٥ يناير، أن نعرف كيف كانت مصر قبل الثورة بقليل، هي ربما من وجهة نظري تمثل مقدمات ثورة ٢٥ يناير، مقدمات هامة للغاية، حالة كانت تعيشها مصر على حافة الانفجار.

كان النظام المصري يتعامل مع مطالب المصريين بنوع من التعالي والاستهزاء، ويخلق لهم فتن طائفية كي ينشغلوا بها عن مطالب الحرية والعدالة. كان النظام المصري لا يعتقد أبداً أن يثور الشعب المصري .... وهل كان الشعب المصري آنذاك يعلم أنه مُقدم على ثورة ؟!

الجزء الثاني من الكتاب بعنوان " ٢٥ يناير .. مصر تصنع تاريخ المستقبل"، محاولة للكتابة عن ثورة ٢٥ يناير كما عايشتها، هي حكاية شعب قرّر أن ينفض عنه غبار الظلم والاستبداد، ويبدأ تاريخا جديدا، تاريخ المستقبل، هي محاولة للوقوف على كل ما يتعلق بالثورة، خلال ١٨ يوما، سطر فيها المصريون أعظم ثورة في التاريخ الحديث.

بدت مصر في ١٨ يوما فقط، في ريعان شبابها وعنفوانها، رسمت مصر لوحة أبهرت العالم أجمع، وأكدت للعالم أنها تستحق أن تكون "أم الدنيا" حقا، أخرجت مصر في ١٨ يوما أجمل ما فيها ...

والجزء الثالث والأخير بعنوان " مصر بعد ثورة ٢٥ يناير"، وهو عبارة عن مجموعة مقالات تتحدث عن مائة يوم من حياة مصر الثائرة .. كيف أصبحت مصر بعد مرور مائة يوم من الثورة؟

الكتاب هو محاولة لوصف ثورة ٢٥ يناير، وتوصيف مصر قبلها وبعدها في كلمات وسطور. رغم أن الحدث أكبر وأعظم وأرقى من أن تحتويه كلمات، أو تحويه أوصاف، أتمنى أن يكون الكتاب إضافة للقارئ الذي شارك في صياغة هذا الكتاب.

ثلاثية الثورة

ثلاثة مراحل في تاريخ مصر، في عام ٢٠١١، في فترة لا تتعدى بضعة شهور، صنعت فيها مصر المستحيل، ثلاثية زمنية أكدت أن الشعوب وحدها هي القادرة على صناعة التاريخ.

هي محاولة لرؤية مصر بعد مرور مائة يوم من الثورة...مائة يوم من صناعة التاريخ، وزراعة الأمل، وتجارة الأحلام ..مائة يوم من فجر الحرية، وشمس العدالة، وإشراقة الكرامة ...مائة يوم من فن التغيير ...

بدت مصر الأولى "قبل الثورة" ... حالمة .

مصر الثانية "أثناء الثورة" ... ملهمة .

مصر الثالثة "بعد الثورة" ... شامخة رغم أنف الحاقدين.

في مصر الأولى .. سجن النظام وطنا بالكامل .

وفي مصر الثانية .. حرّر المصريون وطنا بالكامل .

وفي مصر الثالثة .. سجن المصريون نظاما بالكامل.

في مصر الأولى .. عاشها المصريون حياة بطعم الموت .

وفي مصر الثانية .. عايشها المصريون موتاً من أجل الحياة .

وفي مصر الثالثة .. يعيشها ويعايشها المصريون من أجل حياة دون موت.

حاول النظام قبل الثورة أن يؤكد للمصريين أن المستحيل لاشيء، حيث استحال تحقيق أحلامهم وطموحاتهم. فكان الرد المصري في مصر الثائرة بأن المستحيل لاشيء، حيث تصنع الشعوب وحدها تاريخ المستقبل. وخرجت مصر من مخاضها بعد الثورة، لتؤكد بأن المستحيل لاشيء، وأن من استطعم الحرية مستحيل أن يفرط فيها مهما كانت التحديات والعقبات والصعوبات.

في مصر قبل الثورة كانت الفتنة الطائفية لغماً انفجر في الإسكندرية، فنجح المصريون في إخماده في ميدان التحرير ويحاول المصريون التغلب على بعض الدخان المتصاعد من اللغم الأول في مصر بعد الثورة.

في مصر قبل الثورة صنع المصريون بدمائهم تاريخا من تعذيب وترهيب دولة مبارك البوليسية، وفي مصر الثائرة صنع المصريون بدمائهم تاريخا من الفخر والاعتزاز في دولة ميدان التحرير الفاضلة، وفي مصر بعد الثورة صنع المصريون أنشودة من أجل التضحية بدمائهم لإكمال المسيرة.

الطريق صعب، ومليء بالأشواك، ولكن عبير الحرية ونسيم الأمل، وتلك الورود التي استشهدت من أجل ضحكة مصر،يؤكدون أن مصر لأجلها كل شيء يهون.

بدأنا الطريق، وعبرنا حتى المنتصف، وبتنا على بُعد عدة خطوات كي نصل إلى مستقرنا ومستودعنا، حيث البعث من بعد الموت والحياة.

نحتاج زادنا بعض من صبر الشعوب، وحزم وحسم الحُكّام،صبر لن يطول كما النور يملأ الكون فرحا وبهجة،وحزم وحسم كما النار التي تُضيء دون أن تحرق ...

ثلاثية في حب مصر، وعشق حبّات ترابها، غزل عفيف وصريح لأجمل معشوقة ...

ثلاثية في صناعة تاريخ المستقبل، تؤكد بأن مصر بعد ٢٥ يناير ليست مصر قبل ٢٥ يناير، تؤكد بأن مصر بعد ٢٥ يناير أفضل من مصر قبل ٢٥ يناير .. والله أعلم.



الجزء الأول

مصر قبل ٢٥ يناير
رحلة البحث عن الحياة

ماركة أديداس ونظام الحكم في مصر !

أعتقد أن ما سيخطر ببال سيادتكم في الربط بين أديداس – باعتبارها من أشهر الماركات العالمية خاصة في الأحذية – وبين نظام الحكم في مصر ، هو إن النظام في مصر يضع كل مطالب المواطنين على " جزمة " بماركة أديداس .

ولكن دعونا لا نُقحم في مخيلتنا أفكارا شريرة كتلك التي أراها في أُفق كل منكم وتجول بخاطره، ودعونا لا ننساق وراء خزعبلات وأوهام نحن فقط من نخلقها – ودون حتى أن يسألني أحدكم عن معنى خزعبلات – ونحن من علينا أن نضربها " بالجزمة الأديداس " حتى تشهد لنا الصحافة القومية بأننا " وطنيون " !

العلاقة بين ماركة أديداس، وماركة الحكم في مصر ، هي رفض المستحيل. حيث إن أديداس اشتهرت بعبارة :

" impossible is nothing"

أي أن المستحيل لا شيء، وهو ما برع فيه نظامنا الحاكم بتأكيده تلك المقولة الشهيرة.

لو أن خيال أحدنا قد شطح به، ونطح أفكارا تعانق المستحيل في إن إبراهيم عيسى يمكن أن يُقال من جريدة

الدستور، وهو الأب الشرعي لها،لكنا جميعا اتهمناه بالجنون،لأنه من رابع المستحيلات .

لنستيقظ جميعا على كابوس إقالة إبراهيم عيسى، وليؤكد النظام أن المستحيل حقا لا شيء، حيث تمت الإقالة بتخطيط محكم وتدبير رائع، فبدا الأمر وكأن عدة الآف من الجنيهات هي سبب إقالة الصحفي المعارض الذي رفض بيع قناعاته بملايين أخرى من الجنيهات !

هيا سويا لنفكر ما قد يفعله النظام. أمر آخر، وهو أمر من رابع – وربما خامس – المستحيلات ، بعد أن " خربنا " أكبر جريدة معارضة " ، لما لا نغلق أكبر مكان يمكن أن يخرج فيه الشباب لكي ينتقدونا، مكان يحدث فيه تجمعات رهيبة، فشل الأمن – بكل قوته وسطوته – في أن يخترق هذا المكان "الفيس بوك " .

لنسمع في البرنامج الحكومي الأشهر على التلفزيون المصري إن " الفيس بوك " هو رجس من عمل الشيطان ، وأنه موقع تابع للمخابرات الأمريكية ، ليبدأون تجهيز الأرضية المناسبة لإغلاق الموقع الشهير في وقت قريب .

ولكن دعونا نرفع القبعة هذه المرة، ولا نرفع الأحذية الأديداس، وننحني لأن هذه المرة ، عملية قتل منفذ آخر للحياة جاءت بمسكنات ومهدئات يسوقها إعلامنا الجميل !

نعم .. إغلاق الفيس بوك، هذا الموقع الذي احتضن معظم الاحتجاجات والقوى الوطنية المعارضة، والمنفذ الوحيد في العالم الافتراضي الذي يجنح إليه الشباب من أجل الهروب من الواقع المؤلم .

الفيس بوك قريبا سيتم إغلاقه، وأعتقد أن ذلك يحتاج إلى سند ديني. إذاً لما لا تخرج فتوى بتحريم الموقع ، وتكفير كل من يدخل عليه ويشارك سواء بعمل " كومنت " أو حتى عمل "لايك " ، وخاصة الزنادقة الذين يقومون بعمل " شير " لكل المظاهرات وفضائح الأمن فيها ، وحوادث الاعتداءات الأمنية المستمرة على البشر الذين يسكنون في مصر !

ولو كان من فكر في أن الخلاص من الفيس بوك هو خلاص من بعض الشباب، فليعلموا أن غلق الفيس بوك سيوجه الشباب أكثر إلى الشارع كي يعبروا عن أنفسهم، ولينطبق المثال القائل بأن " من حفر لأخيه حفرة وقع فيها " .

وفى هذا الإطار ، سيخرج علينا مبدعي النظام، بفيس بوك جديد، هو الفيس بوك المصري ، لنجد الشباب يكتبون عليه "أستاتيوس " مثل " بنحبك يا ريس " ، " جمال يا حبيب الملايين " ، ليتحول الفيس بوك الأصلي إلى ملجأ للمعارضين، ويصبح الفيس بوك المصري هو ملتقى الوطنيين حتى النخاع ،

وقبل أن نتجنى على أبناء البلد بأهم من ابتكروا الفيس بوك المصري، أود أن أخبركم بأنه تم استيراده من الصين أيضا !

ويذكرني الأمر بالفارق بين الصحف المستقلة ، والصحف القومية، فتجد صحفيا محترما يكتب مقالا في الصحف القومية يُعدد فيها ما وصلت إليه البلاد من ازدهار، وتجد مقال الآخر في إحدى صحف المعارضة ينتقد كل ما وصلت إليه البلاد من تدهور .

وفى كل المحاولات الشريفة لغلق كل منافذ الحياة في بلدنا المصون، وسد كل مُتنفس لنا، أعتقد أن البلاد مُقدمة على حالة انفجار، والنار التي ستشتعل سوف تحرق أكثر مما تُنير ، وسوف تُنير أكثر مما تحرق ....

حيث نجح نظامنا المصون، في جعل كل مطالبنا العادية مستحيلا، ففي بلدنا أن تحصل على مأكلك ومشربك، رغيف العيش وشربة ماء نظيفة، هو أمر من المستحيلات ، وفى بلد انقلب فيها كل شيء، عليك ألّا تتعجب من أي شيء .. فقط شاهد واستمتع بالمشاهدة !

نجح أيضا نظامنا، في جعل كل مستحيلاتنا أمرا ممكنا ، حيث نجح فيما سبق ذكره ، وفى انتظار الجديد ، حين نطالع عن قريب في صحافتنا أن شخصا ما هو رئيس مصر المنتخب شرعيا وقد يكون شرعا أيضا ، لنجد أنفسنا نقرأ الخبر باعتباره

أمرا عاديا للغاية ، ونغنى جميعا " علشان كده إحنا اخترناك " بعد أن نضرب أنفسنا جميعا " بالجزمة " الأديداس !

وربما تسمعون غدا أمر اعتقالي ، فتضحكون وترتشفون بعضا من كوب "النسكافيه" ، ومن قد يتم كشفه متلبسا بقراءة تلك الكلمات ، أعتقد أنه سيشاطرني بعضا من ضربات الجزمة الأديداس ، واليد الأديداس التي صنعت خصيصا في مصر لتبطش وتضرب على " قفا " كل من لا يعترف بأننا بلد صنع المستحيل !

لعبة الدستور ..!!

ضرورة قطع كل الألسنة المعارضة لتجهيز مسرح الأحداث لانتخابات دون " شوشرة " ، خاصة وإن نتائج الانتخابات البرلمانية والرئاسية تباعا محسومة منذ فترة طويلة لأسماء بعينها، وهذه الأسماء في أدراج أقفالها من حديد كقلوب من يخططون لمستقبل البلد.

الخطة تم إحكامها بمهارة كبيرة ، ضرورة بروز رجل أعمال طيب السُمعة ، ليكون المتحكم في أكبر منظومة إعلامية ، وما المانع بأن يكون هو رئيس أكبر حزب " تعبان " (حزب الوفد) ينافس الحزب الوطني بدلا من الجماعة التي عليها لعنة الله ، الجماعة المحظورة ، التي يكرهها النظام أكثر مما يكره الشقيقة إسرائيل!

تصعيد الرجل ليكون صاحب شبكة تلفزيون ناجحة تفرض سطوتها على " الحياة " المصرية خلال وقت وجيز ، ثم يصبح هذا الرجل هو رئيس حزب الوفد في انتخابات نزيهة وشريفة، هذا الرجل لابد أن يثق به الجميع، حتى يثق الجميع في قوة حزب الوفد " الواهنة " لكي يصبح هو المنافس " الشكلي " للحزب الوطني في الانتخابات البرلمانية.

ليستبشر المصريون بحقبة ديمقراطية جديدة ، ويرون أفقا أبيضا في المستقبل، ربما أشد بياضا من قلوبهم ، ويدخل المصريون أفواجا إلى حزب الوفد ، ليقترب الأمر إلى حد الموضة الوفدية.

بالفعل تم تصعيد الرجل في الوقت المطلوب، وخلال أشهر قليلة تحقق المراد ، خرج البدوي من حيث لا ندري ولا نعلم، ليصبح هو رئيس أكبر حزب بعد الحزب الوطني، ويكون صاحب منظومة إعلامية ناجحة.

إذًا .. ما المانع ليصبح هو أيضا ، صاحب أكبر جريدة معارضة فى مصر؟ ، لما لا، وهو رجل أبيض القلب، وله صيت إعلامي ، وله تاريخ حزبي مشرف صنعه خلال أشهر!

كل ما سبق أرضية جيدة لكي يصبح أحد ملاك أكبر جريدة معارضة في مصر، جريدة شكلت تجربتها النموذج الأنجح لجريدة معارضة. بالفعل أصبح أحد ملاك الجريدة، وأعلنها صراحة إنه لن يتدخل في السياسة التحريرية للجريدة ، وأن جريدة الدستور ستبقى كما كانت في سابق عهدها دون أي تغيير.

كانت الخطة ضرورة إبعاد إبراهيم عيسي عن رئاسة تحرير الدستور، وقبل أن يتلقى المالك لعنات الآخرين، يعلن هو استقالته، ليأتي برئيس تحرير جريدة قومية سابقة، لتصبح جريدة

الدستور هي الصحيفة القومية الرابعة، ليتحول الثلاثي المرح "الأهرام – الأخبار – الجمهورية " إلى الرباعي المرح بإضافة الدستور.

أعلن البدوي فور قدومه إنه لا تغيير في " الدستور"، وأعلنها الحزب الحاكم مرارا وتكرارا إنه لا تغيير في "الدستور"، وفى حين نجح البدوي في تغيير " الدستور" بالكامل، لم يستجب الحزب الحاكم لكل مطالب تغيير "الدستور " أو حتى تعديله !

كانت التكهنات تصب جميعها بأن إقالة إبراهيم عيسي و تغيير طاقم " الدستور " بسبب البرادعى، كما هي الحقائق بأن عدم تغيير " الدستور " أيضا بسبب البرادعى.

أعتقد أن المهمة القادمة للرجل السيد شيلاه يا بدوي، ستصبح تغيير بطاقة هويته إلى محمد البرادعي، لنجده يوما يخرج علينا، ليؤكد بأن لابد من محاكمتي أو اغتيالى، وأقر أنا البرادعي بأن الدستور جيد للغاية، ولابد من عدم تعديل الدستور، لأن أخي في الله الدكتور علي الدين هلال أوعز لي بأن الدولة التي تفعل ذلك هي دولة " هزؤ" و"كخة " كمان !

فوضى الحملات ورئيس مصر القادم

أكثر ما نراه في مصر الآن الحملات، حيث شهدت البلاد مؤخرا فوضى الحملات السياسية المتعلقة بالترشيح للرئاسة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، حملات تأييد جمال مبارك مرشحا للرئاسة ، وأخرى تؤيد البرادعي رئيسا لمصر ، وثالثة تدعم عمر سليمان للمنصب نفسه، وغيرها من الحملات الخاصة بالانتخابات الرئاسية ، وأخيرا حملة تؤيد ترشيح أيمن نور للرئاسة .

العجيب أن حملة الأول تحاول أن تكسب تأييدا شعبيا بمحاولة إظهارها أنها تحدث رغما عن جمال مبارك نفسه ، وأنها تحثه وتطلب منه دونا عن رغبته أن يتنازل ويترشح للرئاسة، وتاهت بين نفي قيادات الحزب الوطني تدعيمها، وبين الأقاويل عن خلافات داخل البيت الرئاسي نفسه عن تسمية جمال مبارك كمرشح لرئاسة البلاد .

وكذلك محاولة ربط الأغنية الوطنية يا جمال يا حبيب الملايين بالسيد جمال مبارك ، والذي أرى- ومن وجهة نظري- أن مجرد الربط، وليس المقارنة حتى، هو ظلم كبير لجمال مبارك قبل أن يكون تعديا على الرئيس الراحل نفسه .

أما حملة ترشيح البرادعي رئيسا للبلاد كانت هي الأوقع والأكثر حضورا ، ونالت تأييد عدد كبير من المصريين، بالرغم من أن ترشح البرادعي للرئاسة هو من رابع المستحيلات، حيث أعلن إنه لن يترل الانتخابات إلا بتعديل الدستور، ليخرج دكتور علي الدين هلال أحد قيادي الحزب الوطني- ويقول أن " الدولة التي تغير دستورها من أجل شخص أو قلة تكون دولة هزؤ " !!!! -

ورغم أن دكتور هلال كان أستاذي في العلوم السياسية، وخاصة في مادة النظام السياسي المصري ، إلا إنه لم يشرح لنا يوما أن من ضمن أنواع الدول ، توجد الدولة الهزؤ ، وأعتقد أن الدولة التي لا تستجيب لمطالب قلة هم بالأساس يطالبون بأبسط حقوقهم هي الدولة الهزؤ !

أما فيما يتعلق بحملة ترشيح الوزير عمر سليمان، رجل المخابرات الأول ، والرجل الذي يحظى بتأييد دولي، وحتى إسرائيلي، كبير لكي يكون خليفة الرئيس مبارك، باعتباره في قلب الحدث ، وهو يحمل على كتفيه العديد من الملفات الحساسة والخطيرة فيما يتعلق بالأمن القومي المصري .

الرجل رغم حنكته السياسية وخبرته المخابراتية، إلا أنه بعيد عن رجل الشارع العادي، ربما لأن طبيعة عمله كانت تحتم عليه ذلك، والرجل هو الأقرب للرئيس مبارك منذ إحباطه محاولة اغتيال الرئيس في أديس بابا عام ١٩٩٥ م .

ورغم أن الحملات التي تؤيده انتشرت في عدة محافظات، إلا إنه تم التوقف لها بالمرصاد سريعا ، لتؤكد عدم رغبة الرجل في هذا المنصب،ولتخرج التكهنات بأن هناك من حاول توريط الوزير عمر سليمان في تلك الحملات من أجل الوقيعة بينه وبين الرئيس مبارك !

أخيرا ، جاءت حملات ترشيح أيمن نور، والتي كانت نشيطة في عدة محافظات نظرا لجولاته الميدانية النشطة ، ومحاولة إثبات أن الرجل الذي حل ثانيا بعد الرئيس في الانتخابات الرئاسية الأخيرة مازال موجودا رغم السجن، ورغم وجود بعض العوائق التي تمنع ترشحه للرئاسة .

إلا أن أيمن نور مازال مصمما على الترشح للمرة الثانية على هذا المنصب ، ويعتبر هو المصري الوحيد – غير الرئيس مبارك – الذي ترشح للمنصب مرتين في حال ترشحه !!!

ويبقى السؤال الأهم في ظل هذه الفوضى من الحملات لمرشحين بعضهم يواجه عوائق دستورية وقانونية للترشح (أيمن نور – محمد البرادعي)، والآخر لا يرغب في مثل هذا المنصب (الوزير عمر سليمان) ، ومن يحاول كسب تأييد شعبي رغم أنه بعيد عن معظم الشعب (جمال مبارك) .

يصبح التساؤل ، إذا كانت الساحة خالية ، والرئيس مبارك لم يقرر بعد رغم أنه حتى الآن المرشح الرئيسي، من سيكون

هو رئيس مصر القادم ؟ ، وإذا كان الرئيس هو من سيترشح ، أين الحملات الشعبية لترشحه باعتبارها موضة سياسية تمهد للمنصب نفسه، ربما حاول الرئيس أن يعوض ذلك بعدد من اللقاءات مع عدد من الفنانين والمثقفين ، ليظل التصريح الأبرز لكل من قابل الرئيس ، أنه يعرف كل ما يحدث في مصر !! .

نعم رئيس مصر – وللعجب – يعرف كل ما يدور في مصر ، ليصبح التصريح لا أعلم نوعا من الإدانة للرئيس أم تأكيد أنه حاضر وبقوة في كل ما يحدث في البلاد ، فهل الرئيس على علم بكل ما يدور في البلاد حقا ؟ وإن كان يعلم فلماذا لا يتدخل لحل المشكلات سواء بطريقة مباشرة أو حتى غير مباشرة ؟!!

الصورة تبدو قاتمة لكن على الأقل ليست شديدة السواد بَعد ! ، وليظل السؤال الأصعب .. من هو رئيس مصر القادم؟!

سياسة لفت الأنظار !

سياسة لفت الأنظار ببساطة أن ينشغل عمي "أبو محمد"، بتوفير المال اللازم للدروس الخصوصية لابنه، عن ذهابه للإدلاء بصوته في الانتخابات، وينشغل ابنه "محمد"، بصعوبة الامتحانات، عن المشاركة في أي نشاط سياسي، وتنشغل "أم محمد" بارتفاع أسعار الطماطم والمسلسلات، عن النقاش مع "أبو محمد" عن حال البلد !

سياسة لفت الأنظار تعنى أن نشغل بال الشخص بشيء مهم عن شيء آخر أكثر أهمية. وقياسا على الشعوب، أن نشغل بال شعب بالكامل بشيء مهم (الارتفاع الجنوني لأسعار الطماطم – أزمة جريدة الدستور) عن شيء آخر أكثر أهمية (انتخابات مجلس الشعب – انتخابات الرئاسة) .

ولأننا شعب يعشق السياسات، ويخشى من السياسة ، فقد طبقنا سياسة لفت الأنظار ببراعة نُحسد عليها. فبدأنا البحث عن سبب جنون الطماطم ، وتفسير نظريات المؤامرة لما حدث للدستور، دون أن يكون هو جزء من اهتماماتنا، وليس كلها !

وللأمانة المهنية ، لابد أن أذكر أن سياسة لفت الأنظار -وإن أصبحت أكثر شيوعاً في مصر- إلا أن ابتكار تلك السياسة يعود لجارتنا إسرائيل. فقد ابتكرت تلك النظرية من

أجل إشغال العرب مجتمعين بشيء تافه، عن أمور أخرى أكثر أهمية .

حيث نجحت إسرائيل في تسويق إيران وكأنها عدو العرب الأول، فانشغل العرب بعداوة إيران (الأقل عدائية) عن عداوة إسرائيل (الأكثر عدائية. وأصبح السلاح النووي الإيراني (غير الموجود) في الجمهورية الإسلامية، أخطر علينا من السلاح النووي الإسرائيلي (الموجود) في الدولة الصهيونية!

نجحت إسرائيل - بتخطيط محكم - في خلق صراع بين حركتي حماس وفتح. وببراعة هائلة، نجح الطرفان في تطبيق تلك السياسة، ووصل الأمر بينهما إلى حد التخوين والمواجهة المسلحة، فانشغل العرب بمحاولات الصلح بين الأخوين، وتركوا العدو يقتل في غزة، ويدمر في لبنان، ويعبث بالعراق، ويهدد سوريا دون حرج!

وبات الدور العربي منحسرا في ضرورة رأب الصدع بين حركتي حماس وفتح ، وكأن الصراع العربي الإسرائيلي بأكمله تم اختزاله في الصراع الفتحاوي الحمساوي.

وتعود سياسة لفت الأنظار بالأساس إلى سياسة قديمة من ثوابت السياسة المصرية، في ضرورة إلهاء وإشغال الشعب بلقمة العيش عن أمور أخرى، مثل مشاركته السياسية أو المطالبة بحقوقه الأساسية .

وفى ظل تلك السياسة ، وفى ظل معطيات الواقع ، سينشغل أطفالنا بمسلسل بكار الجديد ، وينشغل شبابنا بمباريات كرة القدم ، وتنشغل بناتنا بمهند ونور ، وتبكى أمهاتنا على موت رشيدة ، وخسارة منتخبنا ، وفراق مهند ونور .. دون أن تبكى ولو دمعة على وطننا الفقيد والمُفتقد !!

المنتخب .. ونصر أكتوبر المجيد !

لم أجد أفضل من الاستمتاع بالأهداف المصرية في شباك العدو البرازيلي - أثناء مباراة كأس العالم للقارات - من أجل أن أحتفل بنصر أكتوبر المجيد، والتي مُني فيها العدو بأهداف مصرية لاذعة الوجع، وشديدة الإيلام، باحترافية عالية.

ربما أصبح الاحتفال بمشاهدة فيلم "الرصاصة لا تزال في جيبي" أمرا في غاية الملل، خاصة وأن محمود ياسين قد وصل من العمر أرذله، والرصاصة التي يعتقد الكثيرون أنها مازالت في جيبه، أصبحت موجهة للداخل، من أجل إرهاب الفكرة، وإسكات الحق، هذا إن كنا مازلنا نمتلك الرصاصة.

تحولت تعبئة الشعب المصري من أجل الذود عن البلاد في مواجهة العدو الصهيوني في الستينات والسبعينات من القرن الماضي ، إلى تعبئة من نوع آخر من أجل الذود عن مرمى المنتخب في مبارياته، أو النادي الممثل لمصر في أي بطولة قارية أو دولية.

أصبح المنتخب والكرة هما كل قضيتنا ، بل وهما من ثوابت أمننا القومي. كسبت مصر بطولات في " كرة " القدم، وخسرت كرامة بلد ضاعت بسبب " كُره " القدم المصرية.

تحولت مصر من الحصن والحضن لكل العرب، من أجل ضرورة استعادة الكرامة المصرية والكرامة العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، واستطاعة تحقيق النصر على العدو في ١٩٧٣ ، إلى "قفا" يضرب عليه كل الإخوة والأشقاء العرب، من أجل إهانة الكرامة المصري !.

تحولت معركتنا ومشروعنا القومي الذي يظلنا جميعا، من مشروع قومي عروبي، يستظل تحته كل العرب مجتمعين، إلى المشروع المونديالي الذي انتهى بخيبة صفر المشروع المونديالي ، والمشروع القومي من أجل الوصول إلى كأس العالم، الذى انتهى بوكسة ونكسة ربما هي أشد أثرا على الكرامة المصرية من نكسة ووكسة ١٩٦٧. فالضربة على " القفا " إذا جاءت من عدو، أهون من أن تأتي من أقرب الأقربين ، أو بالأحرى ممن يُفترض أنهم أقرب الأقربين !.

وتحولت الأغنية الوطنية التي كانت أكبر حافز للقضية الوطنية من أجل تحرير الأرض، من أغاني " خللي السلاح صاحي " و " فدائي " و " يا حبيبتي يا مصر "، إلى أغاني أصبحت أكثر لهيبا في الشعور الوطني مثل أغنية " والله وعملوها الرجالة " ، وهى بالأحرى " تون " وليست أغنية.

وأصبح الشعب المصري يحفظ ويتابع كل ما يحدث في كرة القدم، أكثر ما يتابع ما يحدث في بلدنا- خاصة وإننا في مرحلة تاريخية فاصلة – أو حتى يتابع ما يحدث مع جيراننا في فلسطين والعراق وغيرهما.

تحول انتصار أكتوبر إلى يوم " مجيد " بعد أن استعدنا سيناء، وأعتقد أن الأولى بالاحتفال هم أشقائنا في إسرائيل. فنحن كسبنا حرب أكتوبر، وهم كسبوا مصر ، حيث اختزلنا الوطن في المنتخب ، فكسبنا المنتخب وخسرنا الوطن ، حُرر جزء من مصر ليُسجن كل المصريين !

سيناء، التي حررناها، أصبحت أصعب من أن يدخلها مصري، حتى ولو معه بطاقة هوية ، وأسهل أرض قد يدخلها الإسرائيليون، ربما لأن دخولها لا يحتاج بطاقة هوية !

في ذكرى انتصار أكتوبر أذكركم، وأذكر نفسي، بالاستماع إلى أغنية " بكار " ، ورائعة " أنا مش خرونج " ، وإذا كان ولابد من مشاهدة فيلم ، فأوصيكم وأوصي نفسي بمشاهدة فيلم " أميرة حبي أنا" حيث تجد " الدنيا ربيع والجو بديع وقفلي على كل المواضيع قفل قفل قفل .. قفل بقى"!

اللعب الإسرائيلي في استاد القاهرة !!

الدولة التي تعبث بتاريخها، لا تستحق حاضراً مشرفاً، وتُقدم بخطى ثابتة على طريق اللا مستقبل واللا معلوم ، ودون الدخول في النميمة التاريخية عن إن ما حدث في عام ١٩٥٢ ثورة أم انقلاب ؟! ، وعن إن ما حدث في عام ١٩٦٧ نكسة أم هزيمة ؟!! .. حتى لا تكون نميمتنا التاريخية القادمة هي عن إن ما حدث عام ١٩٧٣ انتصار أم ... ؟!!

تظل إسرائيل تعرف جيداً أنه لا انتصار لها على العرب سوى بهزيمة مصر، أو على الأقل تحييدها، أي جعلها في الحياد. فمصر من بعد توجهها العروبي القومى في الخمسينات - وما لذلك من خطر آنذاك على وجود الدولة العبرية نفسها- مروراً بالرد الإسرائيلي الحازم في الستينات ، وصولاً إلى أكتوبر، ١٩٧٣ الذى أفضى بمصر إلى اتفاقية سلام مع إسرائيل، ومنحها " كارت أحمر " لكي تخرج من لعبة الصراع العربي الإسرائيلي، أو لتقف بالأحرى قليلاً في " الأوفسايد " .. أقصد الحياد !

ومنذ توقيع اتفاقية السلام وإسرائيل لا تكف عن محاولاتها لاختراق الأمن القومي المصري، سواء بالعبث به خارج حدود الدولة المصرية - مثلما فعلت وتفعل إسرائيل في جنوب

السودان - أو العبث بالداخل، كما صرح مؤخراً الجنرال عاموس يادلين الرئيس المنتهية ولايته لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، حيث صرّح الأخير " لقد تطور العمل في مصر حسب الخطط المرسومة منذ عام ١٩٧٩، فقد أحدثنا اختراقات سياسية وأمنية واقتصادية في أكثر من موقع، ونجحنا في تصعيد التوتر والاحتقان الطائفي والاجتماعي، لتوليد بيئة متصارعة، متوترة دائما، ومنقسمة إلى أكثر من شطر، لتعميق حالة الاهتراء داخل البنية والمجتمع والدولة المصرية، ولكي يعجز أي نظام يأتي بعد حسنى مبارك في معالجة الانقسام والتخلف والوهن المتفشي في هذا البلد".

وبما أن " العيار اللى ما ويصببيش يدوش " ، فيبدو أن الرصاصة الإسرائيلية موجهة إلى قلب مصر دائمًا دون كلل أو ملل. وهى إن كانت لا تستهدف قتل مصر، فهي بالضرورة تريد لها موت تدريجي ، لأن مؤشرات الزمن تفيد بأن وجود مصر الآن أصبح " كتر استراتيجي " لإسرائيل ، مصر التي أرادت إسرائيل يوما إبادها، لا تريد الآن الخلاص منها، ولو مؤقتاً.

لذلك، فإسرائيل تعرف كيف " تلعب جيدا " على كافة الأطراف، بينما مصر تعرف كيف " تشجع جيدا " كافة الأطراف ، فأصبح الدور الإسرائيلي بمثابة " صانع ألعاب " في

منطقة الشرق الأوسط - وللحق، تعرف هي كيف تحرز أهدافها ببراعة - بينما اكتفت مصر بدور " المشجع "، وأبدعت في التصفيق والتهليل ، وربما يتعكر مزاجها بعض الوقت ، فتُلقي ببضع زجاجات فارغة في أرض الملعب، من أجل الاستنكار والتنديد وليس التهديد !

وفى انتظار صافرة الحكم .. يبدو أن الهزيمة ستكون "ثقيلة " مادامت الخطة " ضعيفة " ، والمشجع " كفيف " ، والحكم " أعمى " ، وصانع الألعاب يعشق إحراز الأهداف ببراعة !!

اغتيال البرادعي !

ج

يبدو العنوان صادما للوهلة الأولى، قابلا للتحقق للوهلة الثانية، ربما لأنني مازلت أؤكد أننا بلد لا تعرف المستحيل، وفى ظل ما تعانيه البلد من فوضى، باتت فوضى الفتاوى هي الأكثر انتشارا، ربما لأنها الأسرع، خاصة وأننا بلد فيه مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، رغم أن مؤسسات الدولة تُدار بعلمانية "خجولة" ..

خرج أحد الدعاة السلفيين، ليحل دم الدكتور محمد البرادعي، بتهمة التحريض على عصيان نظام الرئيس حسنى مبارك، ولكونه يثير الفتن بدعوة الشعب إلى العصيان. وذكر في فتواه :" لذلك وجب على أولى الأمر، متمثلين في الحكومة والرئيس حسنى مبارك، قتله حال عدم توقفه عن ذلك الأمر".

وأضاف " إننا في مصر شعب يدين غالبيته بالإسلام.. والمتأمل لتصريحات البرادعي يجد فيها الحثُ والعزم على شق عصا الناس في مصر، الذين تحت ولاية حاكم مسلم متغلب وصاحب شوكة تمكنه من إدارة البلاد. وأيا كان حاله في نظر البعض، فهو الحاكم الذي يجب السمع والطاعة له في المعروف، وبالتالي لا يجوز لمثل البرادعي وغيره أن يصرح بما ذُكر".

وأنهى فتواه المثيرة للجدل " لذا فعليه أن يُعلن توبته مما قال، وإلا جاز لولي الأمر أن يسجنه، أو يقتله درءا لفتنته، حتى لا يستفحل الأمر".

الرجل خرج من حيث لا ندري ولا نعلم، لكي يسوق مبررات من حيث لا يدري ولا يعلم، ليؤكد شرعية قتل البرادعي وإراقة دمه، من أجل الحفاظ على " النظام" في مصر، فبدا الرجل وكأنه يؤدي مهمة ما، خاصة وأن التيار السلفي تم ترويضه في مصر منذ سنوات كثيرة، وبدا أليفا خانعا قابعا في كهوفه، يتعبد ويحترم النظام خوفا وطمعا.

أعلن الرجل إنه ظل الله في أرضه، يأمر بقتل شخص ما، ويمنح الحق لشخص آخر كي يقتله، ويتخلص منه، وأن البرادعي لابد أن يتوب ويستغفر الله أن فكر في تغيير البلد، أو أنه أراد في الأرض إصلاحا!

رغم أنني لست من أنصار البرادعي، إلا أنني أحترم توجهاته ورغبته في تحقيق تغيير في مصر، حتى ولو كنت اختلف مع تعاطيه مع هذا الأمر وآلياته لتحقيق تغيير حقيقي.

يبدو أن هذا الفيلم الذي قام ببطولته أحد الدعاة السلفيين يحمل أمرين غاية في الأهمية :

الأمر الأول : فكرة تأميم الدولة للدين، التي تحدث عنها المفكر الكبير الأستاذ سيف الدين عبد الفتاح، وما قد ينتج عن

استخدام الدولة للدين من أجل تحقيق مصالح معينة، هذا بافتراض نظرية المؤامرة، وأن هذا الرجل لم يكن ليخرج من كهفه، لولا أن وجد من استدعاه ليؤكد على ولائه ووداعته !

الأمر الثاني: قد يكون الأمر أرضية لحدوث أمر اغتيال البرادعي، ليبدو الأمر إن حدث —لا قدر الله — هو عمل قام به بعض من السلفيين، لأنهم لهم من مبرراتهم ما يجعلهم يفعلون ذلك، ويبدو الأمر وكأنه منطقي ورد فعل طبيعي، وبالتالي يموت عنصر المفاجأة، الذي هو قد يكون بمثابة القشة التي تقسم ظهر البعير، وتحرك شعب بالكامل، وإن لم يحدث، فقد يتم اغتياله معنويا من خلال ضربات غير مباشرة وعلى فترات!

أعتقد أن اغتيال البرادعي سيُقابل بعبارات من التنديد والشجب من الشعب، كما هي عبارات حكامهم، وسينتهي الأمر ببضع مظاهرات، لنستيقظ على صباح يوم جديد لا يختلف كثيرا عن الأيام السابقة عليه !

في حوار صحفي أُجري قديما مع جولدا مائير، سئلت: ما أسوأ أيام حياتك؟

فكانت إجابتها: إنه في عام ١٩٦٩ عندما قاد مواطن إسرائيليّ عملية إحراق المسجد الأقصى، يومها كاد قلبي ينخلع من مكانه هلعا من ردة فعل إسلامية غاضبة، تؤثر على مستقبل الدولة العبريّة ..ثم سُئلت : وما أفضل أيام حياة جولدا مائير؟

فكانت إجابتها: إنه اليوم التالي مباشرة لحريق المسجد الأقصى، فقد اجتمع قادة وحكام الدول العربية والإسلامية، واتخذوا قرارا جماعيا بإدانة عملية حرق المسجد، ثم عاد كل منهم إلى بلده وكأن شيئا لم يكن !!

الوضع الراهن في مصر، وفى ظل أننا نمتلك معطيات لا تسمن ولا تغني من جوع عن مستقبل مصر، أو ما يمكن أن تؤول إليه الظروف، أصبحت مصر تمر بفترة استثنائية، قد يحدث فيها ما يمكن أن نتوقعه، وما لا يمكن أن نتوقعه. وربما لأننا لم ولن نشارك في صياغة مستقبل البلد، فعلينا — أضعف الإيمان — أن نستعد، ونؤهل أنفسنا لكي نصفق جيدا إن حدث ما نتوقعه، حتى وإن كان أمرا سيئا ، أو لكي نندب حظنا إن حدث ما لم نتوقعه .

تفجير كنيسة الإسكندرية.. جرح وطن

ما أصعب أن تبدأ صباح أول يوم لك في العام الجديد على خبر محزن، على دماء أبرياء ودموع أناس لا ذنب لهم، بات الأمر صعباً ومؤلماً ومخزياً في الوقت ذاته، ولكن ما قد يصبح أكثر إيلاماً ووجعاً إذا ما تم تفسير الحادث تفسيراً خاطئا، أو عدم وضع الأمور في نصابها الصحيح.

وقع انفجار سيارة مفخخة أمام كنيسة القديسين بمحافظة الإسكندرية، وراح ضحيته عدد كبير من الأبرياء، لم يُفرق الجاني بين مسلم ومسيحي، حتى وإن ارتبط الانفجار بمكان الكنيسة. من يعتقد أن الانفجار قد استهدف المسيحيين فهو مخطئ، الانفجار قد استهدف وطنا بالكامل، يريد له الكثيرون أن يموت موتا إكلينيكيا.

ورغم كل الجهود الأمنية، كان أولى بتلك الجهود، التي وفرت ثكنات عسكرية كاملة لتأمين دخول الإسرائيليين إلى قلب مصر، لحضور مولد أبو حصيرة، تأمين الكنائس أكثر من ذلك. فلو كان اعتبار أن من جاءوا لمولد أبو حصيرة هم بالضرورة مستهدفون، ولذلك لزم تأمينهم بالكامل، فالوطن كله مستهدف، ويحتاج إلى تأمين!

وقع الانفجار في "زمان" و"مكان" لهما من الدلالات الكثير والكثير. فالتوقيت تم اختياره بعناية، حتى يكون للحادث صدى واسع، ويكون جرح الوطن أكبر. وكذلك تم اختيار المكان، في الإسكندرية، حيث المنطقة الجغرافية التي أعطت للعالم كله درسا في كيفية التعايش السلمي بين أجناس وديانات مختلفة.

أعزّي كل المصريين في هذا الحادث المؤلم، وأؤكد أنه ليس من الإسلام في شيء، وأقدّر حزن الأخوة المسيحيين، لكن لابد أن يعلموا جيدا إن الجرح جرح وطن بالكامل.

الصعب ليس فيما حدث فحسب، لكن الأصعب يظل فيما هو قادم. ما حدث يؤكد أنه مازال هناك أعمال إجرامية وإرهابية قادمة، وأتمنى أن يخيب ظني. القادم يحتاج إلى وعى كامل بأن المسلم والمسيحي هما شريكان في الوطن، إن توجع أحدهما بكى الآخر من شدة الوجع.

الصعب ليس فيما قد يحدث فحسب، لكن الأصعب هو تفسير الأمور من منظور ضيق، لكل الأبرياء الرحمة، وللوطن الصبر والسلوان!

فنتازيا حُرمانية تهنئة المسيحيين بعيدهم

وصلتني منذ يومين رسالة على بريدي الإلكتروني من مصدر مجهول يحذرني فيها من تهنئة المسيحيين بعيدهم لأن هذا حرام شرعا، وأننا يجب أن لا نقوم بذلك حتى لا نتعرض للهلاك ، وساق في مبرراته إنهم لا يهنئونا في عيدنا، ولذلك يجب علينا أن لا نهنئهم بعيدهم !!

أجمل ما في الأمر أن الرسالة جاءت من مصدر "مجهول" ، وما أضاف للموضوع بعض من الفنتازيا تحذيره بأن تهنئة الأخوة المسيحيين بعيدهم قد يعرضنا للهلاك، واستند في رسالته إلى فتوى لشيخ لم أسمع عنه من قبل، وأعتقد أنني لن أسمع عنه أبدا.

لي أكثر من صديق مسيحي هنأته بالعيد، وتبادلنا التهنئة والأمنيات بعام جديد كله خير ومحبة. لم يكن موقفي سوى رد فعل لما فعله الكثير منهم عندما هنئوني بعيد الفطر وعيد الأضحى.

لم أر في عيونهم وكلماتهم سوى احترام وتقدير ليس لشخصي فقط، ولكن أيضا لدين أمثله. كل إنسان هو سفير لدينه ومعتقداته. كلما كنا أكثر سماحة، زاد بريق ما نؤمن به، وواجهنا كل ما يعصف بالإسلام بسلوك يحمل الكثير من المعاني الجميلة.

مثل هذه النماذج المريضة، التي تركت كل ما يتعلق بالشريعة والدين، وبدأت تنصح الآخرين بأن يفعلوا ولا يفعلوا، وتناسوا أن الإسلام دين خير وحب، هي نفسها النماذج التي صنعت أرضية كي يقترن الإسلام بالإرهاب. ولا أعرف لماذا كل هذا الضجيج عند الحديث عن المسلمين والمسيحيين في مصر؟!! ، ولماذا نحن كمصريين ننساق وراء من لا يريد لنا أن نعيش كشعب واحد ؟!

مازلت مؤمن - وعن قناعة - بأن انتصار الإسلام ليس بكم المساجد التي تُبنى، وكذلك على يقين تام بأن انتشار المسيحية ليس بكم الكنائس التي تُبنى !

عظمة الأديان ليست بكم المباني التابعة لها، وليست بكم الأناس المدينين به، ولكن بإيمان كل فرد بما ينتمي إليه، وقناعته الشخصية، فكم من مسلم لا يعرف عن الإسلام شيئا، وكم من مسيحي لا يعرف عن دينه شيئا.

من حُسن حظي إنني أعيش في بلد يقطنها الكثير من المسيحيين، لم أفرق بين صديقي " مينا" وصديقي " محمد" سوى عندما عرفت اسميهما في أول يوم التقينا ثلاثتنا جنبا إلى جنب في المدرسة الابتدائية.

وظللنا سنوات كثيرة جنبا إلى جنب، نأكل ونشرب ونلعب سويا، نفرح ونبكي، كانت المدرسة هي الوطن الذي يجمعنا وننتمي إليه جميعا .. ولم نفترق .. أقصد ولن نفترق.

يطالب المسيحيون في بلدتي ببناء كنيسة، ولكن تُقابَل كل مطالبهم برد مُبهم وروتين مريض، وتقترب المساجد في بلدتي إلى أن يصبح لكل شارع مسجد، حتى إننا في صلاة الجمعة قد نسمع لأكثر من خطيب في وقت واحد !!

الدين المعاملة، نتعامل مع الآخر بغض النظر عن انتماءاته وهُويته طالما هو يحترم ما أنتمي إليه، كل إنسان حر، هي حرية مسئولة تحمل كل الاحترام وكل الحب...

في النهاية، أقدم تهنئة بكل الحب للإخوة المسيحيين بعيدهم، وأتمنى من الله أن يهدي هؤلاء الذين يعتقدون أنهم ينصرون الإسلام بأفعال هي أبعد ما تكون عن عظمة الإسلام !

شعارات مدمرة

أتحدث إلى صديقة لي- هي مسيحية، أعتز بصداقتها جدا - كنا نتناقش سويا عن مستقبلنا العملي والعلمي، وعن حال البلد، ربما لأننا نشترك سوياً في دراسة العلوم السياسية، وكذلك نشترك في هموم الوطن. وطن واحد، نحمل همومه سويا، وبنفس القدر، ونمنى النفس بأن يصبح أفضل حالاً مما هو عليه.

لم يقطع حديثنا سوى أنها أرسلت لي "لينك" لإحدى الصفحات على موقع الفيس بوك. تقول لي: انظر يا صديقي ماذا يفعل المرضى في هذا الوطن ؟، ماذا يفعل المأجورون الذين يريدون الوقيعة بيننا ؟؟!!.

أثار غضبي ما قرأت، ولم أكن لأصدق لولا أني رأيت بعيني. الصفحة معنونة "قاطع مسيحياً تنقذ مسلماً". وبعدما قرأت ذلك العنوان، شعرت بأن هناك مؤامرة ما تحاك ضد هذا الوطن، رغم أنني أكرة نظرية المؤامرة، إلا أن تكرار الأحداث في الفترة الأخيرة هو أمر يدعو للاستغراب.

قاطع مسيحيا تنقذ مسلما، هو عنوان بحاجة إلى بعض البهارات حتى يكون أكثر جاذبية، وأكثر رونقاً، فليكن "قاطع مسيحيا" تكسب عروسة هدية، أو ليكن "قاطع مسيحيا، تحصل على وظيفة فورية"، ولما لا يكون "اقتل مسيحياً ولك الجنة" !!

المرضى الذين يرددون مثل تلك الشعارات قد يجذبون عددا ممن لا يعرفون عن الدين سوى إطلاق اللحية، ولا يعرفون عن الدين أنه "لا إكراه في الدين".

هو عنوان جاذب لكل مريض نفسي، ولكل من هو عدو لهذا الوطن. هو عنوان صادم لكل مسلم حر، مؤمن بإسلامه، وبدعوات الرسول للحوار مع الآخر؛ حتى ولو كان كافراً "وجادلهم بالتي هي أحسن"، ولكل مسيحي حر مؤمن بمسيحيته، وأن المسيح جاء بالخير والمحبة.

خاصة بعد قضية كاميليا، والتدخل الأمني، والتكهنات حول إنها تم اختطافها من قِبل الكنيسة بعدما أعلنت إسلامها، أم إنها بالفعل كانت في زيارة لإحدى صديقاتها، وأنها مازالت على المسيحية؟!!

إثارة مثل هذه المشكلات يمهد أرضا خصبة للقلة المأجورة في الغرب لكي يتحدثوا عن الظلم الحادث على المسيحيين في مصر، وهو ما يستدعى التدخل في الشئون الداخلية في البلاد، حتى تكون محل انتقاد لكل من هب ودب.

مثل هذه العناوين هي من صناعة غير مصرية، يتم تصديرها لنا، ولا أعلم كيف يستورد العقلاء مثل هذه العناوين الحقيرة، والتي لا تريد سوى نشر الفتنة في جسد هذا الوطن.

كذلك يمكن القول بأن عامل التوقيت هو أمر في غاية الأهمية، خاصة وأن مصر تمر بمرحلة حرجة وخطيرة، وهناك من يحاولون تشويه أي تقدم متوقع على أرض مصر.

لا يمكن القول بأن المسيحيين يتعرضون للاضطهاد في مصر، وإن حدث، هي حوادث فردية وعرضية لا تعبر بأي حال عن العلاقة الحقيقية بين المسلمين والمسيحيين في مصر. لذلك هناك دور لابد للدولة والكنيسة أن يقوما به، وهو صد أي محاولات قد تثير الفتنة الطائفية في مصر، وعقاب من يثبت تورطه في مثل تلك الأعمال الوضيعة حتى يكون عِبرة لمن يحاول أن يتاجر باسم الدين من أجل تحقيق مصالح شخصية.

ولتظل مصر جسدا واحدا، مسلموها ومسيحيوها، لا فرق بينهم سوى بالعمل والاجتهاد، يتسابقون معا على خدمة هذا الوطن، ضاربين بكل المحاولات الخبيثة للوقيعة بينهما عرض الحائط.

أزمات ما بعد تفجيرات الإسكندرية

يبدو أن تفجيرات الإسكندرية - التي استهدفت كنيسة مؤخرا - لم تفجر فقط عددا من الأبرياء، كل ذنبهم أنهم أرادوا أن يحتفلوا بعيدهم، بل فجرت أيضا حزمة من المشاعر الجميلة، كانت على مر السنين غير قابلة للانفجار !

كانت مشاهد أشلاء الأبرياء موجعة للجميع. فقدنا مريم رغم أنها لم تكن تتمنى لنفسها ولغيرها سوى الخير في عام جديد. كان الألم موجعا لأنه جاء واغتصب فرحة الأبرياء، وخطف ابتسامتها عنوة رغما عنا جميعا. وراح ضحية الحادث أيضا بائع مصاحف بسيط، لم يُعرف عنه سوى أنه كان بشوشا وطيب الأخلاق ومحبا للناس.

الإرهاب أعمى، لا يفرق بين دين وآخر. حيث بدت الأمور قبل التفجيرات سيئة إلى حد ما، قابلة للترميم مع الوقت، وبعد التفجيرات مباشرة بدا الأمر أكثر سوءً.. وكان الوضع لا يعني بالضرورة إن القادم قاتم وأشد سوءً، ولكن بعد أيام على التفجيرات " الإرهابية"، بدت الأمور لا تبشر بالخير، وأدى الوضع لبروز عدة أزمات على السطح.

الأزمة الأولى هي أزمة انعدام الثقة، وهى من جانبين.. الجانب الأول بين المسلمين والمسيحيين في مصر، والجانب الآخر هو انعدام الثقة بين المواطن المصري " مسلم أو مسيحي" مع النظام نفسه !

فعلى الجانب الأول، بدأ المسلمون يدافعون عن أنفسهم، ويدللون من الكتاب والسنة إنهم يدينون هذا العمل الإجرامي، وهو أمر لا حرج فيه، وأمر مهم أن نتقاسم مع الأخوة المسيحيين وجع ومرارة ما حدث حتى بالتنديد لما حدث. ولكن كان لزاما على الأخوة المسيحيين أن لا يضعوا كل المسلمين في سلة واحدة، وأن لا يتحول كل مسلم بين ليلة وضحاها إلى متهم، لأن فقدان الثقة بين شريكي الوطن هو الأرضية والتربة الخصبة لانتشار الفتن !!.

المواطنة الناجحة لابد أن تقوم بالأساس على طرفين يحترم كل منهما الآخر، ولا يتوجس منه خيفة. فمشكلة حوار الأديان على مر التاريخ إن الإسلام دائما كان يبدأ من موقف المتهم، ويدافع عن نفسه للآخرين، وهو أمر ليس بصحيح !

أكثر ما يحزن القلب ما سمعته من بعض الأصدقاء إنه بالفعل باتت هناك قلة من الطرفين تنظر نظرة غير سوية، وربما هذه القلة هي من تساهم في إشعال نار الفتنة بين الحين والآخر .

إذا بدا الأمر لإخواننا المسيحيين أننا كمسلمين غير موجوعين جميعا مما حدث ، فأنا كمسلم على يقين تام بأن أغلبية المسيحيين يعلمون جيدا ذلك، ربما لأننا ذُقنا من قبل الكثير من أوجاع الوطن .

أما فيما يتعلق بأزمة انعدام الثقة بين المواطن والنظام نفسه، فهناك ظاهرة خطيرة ظهرت خلال الأيام الماضية، وهى تعدي الناس على الشرطة في حوادث متفرقة، وكذلك التعدي على الطرق، وهجوم بعض " المصريين" على شيخ الأزهر، ومفتى الجمهورية، ووزير الأوقاف، أثناء زيارتهم لكنيسة. وهو مؤشر خطير للغاية، يحتاج لتدخل حاسم وسريع من الدولة، كي تؤكد أنها حاضرة بصورة أكثر واقعية.

الأزمة الثانية، هي أزمة انعدام الأمان.. عندما يشعر المواطن المصري بعدم الأمان في مصر " بلد الأمان " ، خاصة بعدما أخبرني صديق سكندري في قلب الحدث، بأن الوضع خطير في سيدي بشر، وأن كلا الطرفين على أهبة الاستعداد للانقضاض على الآخر. مؤشر في غاية الخطورة يدعوا للقلق، وربما الخوف، حينما يشعر أي مواطن مصري، مسلم أو مسيحي، بأنه لا يشعر بالأمان في بلده.

فمصر رغم كل ما عصف بها من مشكلات، كان دائما شعور المصري بالأمان أمرا مفروغا منه. وبالتالي هي ظاهرة جديدة وخطيرة، تؤكد أن مصر تمر بظروف استثنائية، وأن ما حدث من رد فعل هو تراكمات أخطاء صغيرة ومتوسطة، كانت بحاجة للمعالجة منذ وقت طويل.

الأزمة الثالثة هي انشغال مصر بالداخل، وهو مخطط من أجل ألاّ تنشغل مصر بقضاياها الخارجية. وقبل أن يخرج أحد، ويؤكد لي أن مصر بالفعل قد تم تحييدها جانبا في كل الملفات سواء العربية أو الإقليمية أو حتى المتعلقة مباشرة بأمنها القومي، فأريد أن أؤكد له ذلك. إقليميا بدت الغلبة على المنطقة بأكملها لقوى إقليمية غير عربية متمثلة في (إسرائيل — إيران — تركيا)، وعربيا بدا الملف اللبناني والعراقي والسوري حتى لا يمس مصر من قريب أو بعيد، أما فيما يتعلق بقضايانا القومية ، فمصر ترتب من الآن لآلية التعامل مع دولة جنوب السودان قبل الاستفتاء بأيام !

وإن كانت مصر بالفعل قُدر لها أن تنشغل بالداخل، طالما خسرت كل أوراق اللعبة في الخارج، فأتمنى أن تنشغل بالداخل انشغالا حقيقا، وأن تكون حاضرة بشكل أكثر واقعية. ولكن الخوف كل الخوف أن تنشغل مصر عن الخارج .. والداخل أيضا !

يبدو أن الحديث عن مصطلحات من قبيل الوحدة الوطنية لم يعد يسمن ولا يغني من جوع للكثيرين. ولكن الشمعة الوحيدة التي تضئ كل هذا الظلام الموجع، الوقفات المشتركة بين المسلمين والمسيحيين في كل المحافظات، تفاعل الكثير من الشباب في العالم الافتراضي على الفيس بوك وغيره، بمنتهى

المنطق والحب والود، تنديد الطرفين على أعلى مستويات بجُرم ما حدث وبشاعته.

أخشى أن تكون هذه الشمعة المضيئة هي آخر ما تبقى من مسامير في نعش الوحدة الوطنية، وأتمنى أن يحفظ الله الوطن مسلميه ومسيحييه من كل سوء، وأن نثبت لكل من يريد شرا بنا أننا شعب واحد، ووطن واحد، كلنا مصريون !

عيد الميلاد .. عيد كل المصريين

حتى وقت قريب كنت - كأي مسلم - أحتفل في العام بعيدين فقط هما عيد الأضحى وعيد الفطر. فكانت الفرحة -حصريا- مرتبطة عندي بهذين العيدين. ولكن بعد ما شاهدته، وعايشته، وأحسست به من مشاعر جميلة في هذا اليوم الرائع، يوم أن شاركت الأخوة المسيحيين فرحتهم بعيدهم.. كانت مشاعر جميلة للغاية، وخلقت تلك المشاعر عيدا جديدا، بل ربما أعياد كثيرة في وجداني، وفى ذاكرتي ستظل تلازمني طوال حياتي.

كنت كما تعودت، وكما تعلمت في ديني، أن أحب الآخر، أفرح معه، وأخفف عنه في حزنه، فكنت أهنئ أصدقائي المسيحيين بعيدهم بأن أكتب لهم، أو أتصل بهم، أو أخبرهم وجها لوجه. ولكنني اكتشفت إن مشاركتهم فرحتهم، والاحتفال معهم أروع بكثير. مشهد هو الأول في حياتي، ولن يصبح الأخير.

عندما احتفل كل المصريين، بأعياد الميلاد المجيدة، وسط ترقب مشوب بالحذر، ومخاوف من حدوث هجمات جديدة على كنائس، بعد حادث تفجيرات كنيسة القديسين.. وكانت الرسالة إلى كل من تسول نفسه بأن يعتدي على المصريين، بأننا إما أن نعيش سويا، أو نموت سويا!

تهيأت الكنائس المصرية لإقامة الصلوات وقداس عيد الميلاد، وسط مشاركة كبيرة من جميع المصريين، وإجراءات أمنية مشددة في جميع الكنائس. تهيأ الجميع للفرحة، وتهيأ الوطن لعُرس جميل.. تجسدت الشخصية المصرية بكل عنفوانها، وتجسد الحب بكل مفردات العشق، في تلك المشاهد الجميلة، وكان أبلغ رد على العمل الإجرامي الذي أراد أن يفرق بيننا، فخاب وخسر، وعُدنا أفضل مما كنا بكثير.

كانت حكمة المشهد الذي أحزننا جميعا في الإسكندرية أن نستشعر أشياءً جميلة في حياتنا، وأن نستدعي قيمة الوطن والحب والخير، لأن ما حدث جعلنا نعيد ترتيب الكثير من الأمور، ونصحح كثير من أخطائنا. لنوجه رسالة شديدة اللهجة بأننا شعب مهما عصفت به المشكلات هو جسد واحد، بأننا قادرون على التحدي، تحدى لكل من يريد أن تصبح مصر مصرين، واحدة للمسلمين وأخرى للمسيحيين، ليتطور الأمر أن تصبح مصر أمصار عديدة بتكوينات طائفية ودينية!!

ربما سيظل اليوم في ذاكرة الكثيرين، لنترحم على أرواح الأبرياء، لنتمنى لمريم الرحمة، كما طلبناها لمروة، ولكن ستظل قيمة وجمال تلك المشاهد الرائعة في هذا العيد مرتبطة بمدى استمراريتها، ومدى شعور كل فرد على أرض مصر بمصريته.. فهل يستمر هذا الإحساس الجميل؟!!

أكاونت الرئيس على الفيس بوك !

منذ أيام فوجئت بوجود "أكاونت" - حساب شخصي - للرئيس محمد حسني مبارك على صفحة الفيس بوك، فكيف يكون للرئيس أكاونت على الفيس بوك ؟!!، كانت المفاجأة لسببين، الأولى إنه لا يملك من وقته شيء، فهو إما ساهر على راحة الشعب، أو مستيقظا يعمل من أجل الشعب، أو حتى نائما يحلم بكيفية تحقيق السعادة لهذا الشعب !

أما المفاجأة الثانية، كانت في أن الصفحة أكاونت شخصي وليست " بيدج" أو " جروب" كتلك التي ينشئها بعض أولئك الذين يُشترون من أجل أن يردوا على كل تصريحات البرادعي بالسب والقذف، وأحيانا يبدعون فيسيئون لشرف الرجل وأسرته وكل من يسير على خطاه !

فكرت أن أرسل طلب صداقة مع الرئيس، ولكن خشيت أن يرفض الطلب، فيتطور الأمر تلقائيا إلى أن أعمل له "ريبورت " من على الفيس بوك نهائيا، فيقوم بعمل " بلوك" لي من على وجه المعمورة كلها. بل وقد أحرض كل من أعرفه لكي يقوم بعمل " بلوك" و " ريبورت " لهذا الأكاونت، فيقوم هو بعمل " بلوك" للشعب بأكمله.

وخوفا من أن يتطور الأمر إلى ذلك، وأن ندخل في مواجهات شخصية، فيكون مصيري كمصير أحد ممن ركبوا عبارات السلام، أو ممن ركبوا قطارات الصعيد، أو حتى كمثل هؤلاء الذين راحوا ضحية حبهم لبلدهم بإخلاص، قمت بعمل "شير" لأكاونت الرئيس، خاصة بعد أن وجدت أن لديه ١٤٥ صديق فقط !!

لم أصدق أن الرئيس لديه هذا العدد القليل، خاصة وأن نتائج الانتخابات الرئاسية والاستفتاءات التي تمت خلال ثلاثة عقود، كلها تدل على أن صفحة الرئيس لابد أن يكون فيها على أقل تقدير ٧٠ مليون مواطن مصري !

ثم تذكرت أن السبب الحقيقي في إنه دائما مشغول، مشغول بالشعب، وليس بالتأكيد مشغول عن الشعب، ويكفي تصدره لصفحات جرائدنا القومية بين افتتاح مشروع هناك، واستقبال رؤساء دول هنا، وما إلى ذلك من إنجازات.

وما فاجأني أكثر، إن في المعلومات الشخصية لصفحة سيادته، لم يكتب إنه رئيس مصر حتى آخر العمر، ولم يكتب أيضا أنه صاحب أول ضربة جوية، ولم يتباهى علينا بأنه على معرفة شخصية برئيس مجلس الشعب، وأنه يعرف وزير الإعلام شخصيا، وأنه قابل الرئيس الأمريكي أوباما بن الحلال.

ثم فكرت أن أُرسل له رسالة، لكي أحكى له عن أشياء قد لا يعرفها، فعرفت أن الرسائل دائما لاتصل، خاصة وأنه لم يشترك بَعد في صفحة " خالد سعيد "، ولا في صفحة " مروة الشربيني "، ولا حتى في صفحة " سيد بلال " الجديدة !

وفي نهاية الأمر، كنت على يقين بأن الصفحة الموجودة على الفيس بوك صفحة غير حقيقية، مثلها كمثل أشياء كثيرة في مصر، ربما من كثرة ما اعتدنا على كذبها، أصبحنا نصدقها، أو نضحك على أنفسنا حتى نصدقها، حتى بات الوهم حقيقة نكذبها، وأضحت الحقيقة وهم نصدقه !

وتمنيت أن أرى يوما " أكاونت" حقيقيا للرئيس، أيا كان هذا الرئيس. فالشيء المهم عندي أن يكتب في معلوماته الشخصية عن هموم الملايين من أبناء الشعب، ويقبل طلب صداقتهم جميعا، ويرد على كل رسائلهم، وحتى يتحقق ذلك، أوصيكم وأوصي نفسي بذكر الله .. وأقم الصلاة !

آخر خطاب للرئيس !

وسط حشد من محبيه، وفى مسقط رأسه، بكى الرئيس ثلاث مرات وهو يُلقي خطابه الأخير باعتباره رئيسا. بكى ليس لأنه يترك الكرسي الأعلى في البلاد؛ ولكن بكى لأنه أحب بلده وعشق ترابه، وتذكّر كيف خرج من حي فقير ليصبح رئيسا لبلد كانت تعصف به المشكلات من كل جانب.

وقال الرئيس في خطابه الأخير " أنا أغادر الرئاسة، لكن لا تعتقدوا أنكم ستتخلصون مني، لأنني سأكون في شوارع هذا البلد للمساعدة في حل مشكلات البلاد".. وجد أن خدمة الوطن ليست بأن يظل في كرسي الرئاسة لآخر نفس في عمره، بل أن يخدم الوطن في المكان الذي يحتاجه الوطن فيه !!

بكى الرئيس ثلاث مرات، فأعطى للبكاء قيمة أن يبكي رجل. بكى عندما تذكر فرحته بفوزه في الانتخابات الرئاسية، فرح لأنه كان يعلم جيدا أنه لم يفز بالتزوير والبلطجة، ولكن فاز لأنه يستحق أن يفوز. ثم بكى مرة ثانية عندما تذكر نشأته الفقيرة، فأعطى للفقر قيمة أن يبكيه رجل.شعر بالفقراء فأحبوه، أحبهم فصفقوا له احتراما وإجلالا وتعظيما ليس لأنهم تربّوا على ثقافة التصفيق. وهتف الجميع بصدق هتافات جعلت

الموقف السياسي أكثر رومانسية، هتافات من القلب وليست نفاقا ورياءً !

هنأ الرئيس من خلفه في الرئاسة، وزهد في منصب رفيع، احتراما منه لأن تكون هناك دماء جديدة من أجل مستقبل أفضل لأبناء الوطن.

بدا الرجل في مشهده الأخير عريسا في ليلة زفافه، تفيض عيناه بحب وامتنان. وأعطى للجميع درسا فى كيفية حب الأوطان، ولكن .. من يعتبر ؟ !

أشكر الرئيس البرازيلي لولا دا سيلفا على خطابه المؤثر، وكلماته المعبرة، وأهنئ البرازيل برجل فى زمن فيه الرجال قليل!!

تونس .. فرحة الشعوب

يتابع الشعب العربي بشغف وفرحة ممزوجة ببعض التمني، ما يحدث في تونس، ما يصنعه الشعب التونسي.في حين يراقب كل رؤساء وملوك العرب وقادهم ما يحدث بقلق بالغ، وخوف ممزوج بحالات إسهال مُفرطة.

ربما لأن الثورة مُعدية، وعدوى التغيير تكمن خطورهّا في إنها فكرة. والفكرة لم يتم التوصل لمصل - حتى الآن - كي يقف في وجهها، أو يمنعها من الانتشار.

ما يؤكد قلق الحكام العرب، أن تونس كانت أفضل في مستوى معيشتها عن كثير من الدول العربية. وبالتالي ما حدث بين ليلة وضحاها في تونس، قد يحدث في دقائق معدودات في دول عربية أخرى !

كان بداية المشهد التونسي بأن أحرق مواطن بسيط نفسه، دفعا للظلم والتسلط والاستبداد عنه، فثار شعب بالكامل. وأعتقد أن هناك شعوبا تموت حرقا وغرقا وخوفا، ولا يحرك أحد منهم ساكنا، ويكتفون بالشجب والاستنكار والإدانة، ربما كعادة من يحكمونهم !

كان مشهد مغادرة الرئيس التونسي البلاد، ورفض استقباله في كثير من مطارات العالم، مشهدا مؤثرا ، ويعطى دروسا

كثيرة لمن يريد أن يعتبر. وكان مشهد فرحة الشعب التونسي بفرحة الحرية أكثر تأثيرا. ربما هناك ملايين من الشعوب العربية يتمنون الآن هذا الإحساس.

ويبدو أن أنظار كل العالم تتجه نحو مصر، ربما لأنها الأكثر جاذبية لحدوث تغيير قريب، خاصة وإنها تمر بمرحلة استثنائية في تاريخها. وربما هناك ٨٠ مليون مصري يتمنون التغيير، ولكن رسالة الشعب التونسي لكل الشعوب العربية إنه لا تغيير يأتي "ديليفري" !

ربما لأن الكثيرين من فرط التهميش، اعتاد خلال ثلاثة عقود أن يقف موقف المشاهد، فشاهدنا الحدث ولم نصنعه، أعربنا "المفعول به"، وفشلنا في إعراب " الفاعل" !

وسيبدأ الإعلام الرسمي العربي الفترة القادمة التعامل مع ما حدث في تونس بخجل داعر، وسيقومون بتوزيع مسكنات ومهدئات، مثل أعلى معدل اقتصادي، وتحقيق أعلى نمو، وما إلى ذلك. وسيختفي كل القادة العرب لمدة قد تطول من صدارة إعلامنا، ربما خوفا وربما قلقا وربما ....

ويبدو عام ٢٠١١ ، رغم أنه بدأ بداية سيئة بأحداث عنف أرادت مصر طائفية، ورغم أنه بدأ باستفتاء السودان والانفصال المنتظر، ورغم سقوط الحكومة اللبنانية، ووقوف لبنان على شفا حرب أهلية، ورغم زيادة العداء بين المغرب

والجزائر بسبب الصحراء الغربية، ورغم تهديدات إسرائيل بالهجوم على غزة من جديد، ورغم زيادة التوتر في العلاقات بين مصر وسوريا، ورغم قلق دول الخليج من نووي إيران، أعتقد أنه سيصبح عام فاصل فى التاريخ العربي!

وستؤكد التجربة التونسية بأنه شتان بين طموحات الشعوب، وقادتهم. وأن الفجوة قابلة للاتساع، وربما للانفجار في وقت قريب.

سألني أحد الأصدقاء بعد ما حدث في تونس: برأيك متى سيثور المصريون؟.. فكانت الإجابة حاضرة بواقعيتها: في حالة واحدة فقط، إذا أحرق ٨٠ مليون مصري أنفسهم !

مصر يوم ٢٤ يناير ...

استيقظت مصر يوم الرابع والعشرين من يناير على يوم مثله مثل الأيام التي سبقته. لا جديد، هموم تحاصر ضحكة حزينة، هي الأخرى تقاوم معركة الحزن واليأس في رحلة الإنسان المصري نحو طموحاته المشروعة.

استيقظت مصر، ومشاهد التزوير الفجة في انتخابات مجلس الشعب الأخيرة بقيادة أحمد عز، حاضرة في الأذهان، صورة مريم فكري "المسيحية" التي راحت ضحية تفجيرات الإسكندرية، وصورة سيد بلال "السلفي" الذي راح ضحية تعذيب أمن الدولة، ومشاهد أشلاء الضحايا مسلمين ومسيحين من تفجيرات الإسكندرية حاضرة في الأذهان.

استيقظت مصر، ودمعات أم خالد سعيد لم تجف بَعد، مازالت تبكي، وتحتسب ابنها شهيدا عند الله، ومشاهد تعذيب المصريين، وإهدار كرامتهم على يد من يُفترض أنهم يحمون كرامته، بالإضافة لمشاهد من المعارك اليومية للإنسان المصري من أجل رغيف الخبز، كلها مشاهد وصور حاضرة في الأذهان.

لا جديد ...

لا جديد سوى حديث البعض بصوت خافت عن ضرورة التظاهر غدا، يوم ٢٥ يناير، من أجل إقالة وزير الداخلية، واحتجاجاً على تعذيب وترهيب المواطنين من قِبل رجال الأمن. كان اليوم عاديا، وكانت الدعوة للتظاهر أيضا عادية، وبدأ البعض يؤكد أن هذه المظاهرة ليس لها أي قيمة، والبعض الآخر يؤكد على أهمية المشاركة حتى وإن كان تحقيق الأهداف أمرا غاية في الصعوبة.

وكان العالم الافتراضي متمثلا في الفيس بوك وتويتر، يتحدث عن ثورة.. ثورة ٢٥ يناير! ثورة ؟ .. في مصر ؟ .. الآن ؟ .. هل نستحق ثورة ؟ .. هل نستحق التغيير ؟ ..

يا أصدقائي الأعزاء: مصر ليست تونس !

فبدا الأمر أكثر مدعاة للسخرية للكثيرين، وقد أكون أحدهم، لأنه لم يحدث في التاريخ أن تبدأ ثورة، ويتم تحديد يومها وميعادها وتنجح !.. ثم إن الدعوات كلها تدعو إلى التظاهر من أجل المطالبة بإصلاحات سياسية بسيطة، وإقالة وزير الداخلية، وبالتالي كيف تكون ثورة؟!

التظاهرة لا تستهدف تغيير النظام، ولا إزاحة الرئيس مبارك. مجرد تظاهرة عادية، قد لا يسمع عنها الرئيس حتى، وإن سمع عنها، سيقول: "سيبهم يتسلوا " ...

الثورة كما يذكرها التاريخ: تغيير جذري، تغيير لنظام ديكتاتوري، وليس الخروج للمطالبة بمثل هذه المطالب، التي لا تتناسب مع حجم كلمة ثورة. اختلفنا في توصيف الأمر بين مظاهرة وثورة، واتفقنا في أننا غدا سنخرج في تجمعات من أجل التنديد بما وصلت إليه البلاد، مستغلين عيد الشرطة، كي نوجه رسالة شديدة اللهجة إلى وزارة الداخلية، بأننا نرفض التعامل الأمني مع المصريين، وللتنديد بحوادث الترهيب والتعذيب.

كانت المواقف غير واضحة عند بعض الأحزاب، مثل حزب الوفد الذي أعلن رئيسه لشباب الوفد، إنهم إذا ما شاركوا في المظاهرات، فإنهم سيمثلون أنفسهم فقط، ولا يمثلون الحزب. حاول الحزب أن يمنع الشباب من شرف تمثيله في مظاهرات ٢٥ يناير، ولم يكن يعرف أن هؤلاء الشباب ربما هم من سيمنحون شرفا وقيمة للحزب نفسه !

ربما !! ..

خرج بعض شيوخ السلفيين يؤكدون على عدم شرعية الخروج على الحاكم، وكان موقف الإخوان المشاركة، ولكن على استحياء، نظرا للمضايقات الأمنية والتهديدات التي يتعرضون لها. وخرجت الكنائس الثلاث المسيحية ترفض مظاهرات ٢٥ يناير، وطالبت الأقباط بعدم المشاركة.

ولم يختلف دور الأزهر الشريف كثيرا، واختلف الشباب بين مؤيد للمظاهرات، وبين معارض لها. وظل النظام يتعامل مع تلك الدعوات بشيء من السخرية وعدم الجدية ...

نام المصريون ليلتهم، ليستيقظوا على يوم جديد، يوم الخامس والعشرين من يناير، نام المصريون وهم يحلمون بالحرية، ويقلقون أحيانا من مجرد الحلم بها. لم يكن المصريون يعلمون أنهم سيستيقظون على يوم ربما يكون فاصلا في تاريخ مصر، يوم .. ربما يكون لحظة ميلاد لمصر من جديد...

ربما !!

يوم الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، هل بالفعل سيكون يوما تاريخيا في حياة مصر ؟، هل سيكون بمثابة لحظة ميلاد لأحلام وطموحات المصريين؟ .. لم يكن أحد يعلم .. الله أعلم.

الجزء الثاني

٢٥ يناير

مصر تصنع تاريخ المستقبل

٢٥ يناير .. لحظة ميلاد مصر

باتت مصر – وللمرة الأولى منذ عدة عقود – ملهمة للعالم أجمع، ونسج شبابها تاريخا جديدا من بعض ما تبقى من خيوط الأمل.

أصعب ما يكون على الكاتب، عندما لا يجد من الكلمات ما يعبر عن كل مشاعره، خاصة إذا كانت بهذه الروعة التي صنعتها ثورة ٢٥ يناير. والأجمل إننا نقرأ كل تلك الكلمات الرائعة في عيون كل المصريين. نعطى – في صمت – درسا للعالم أجمع في الرُقي، والتحضر، والعظمة.

عندما تمتزج مشاعر الحب والفرحة، بصوت الابتهالات والترانيم، صيحات الشباب وزغاريد النساء، كأنها فرحة الأطفال بالعيد. إحساس بالحرية على مصرية تلك القطعة الجغرافية التي كثيرا ما افتقدناها، وكدنا نفقدها. تلك القطعة الجغرافية التي أوجعتنا غربة واغترابا رغم إن الاسم كان .. "وطن" !

لحظة ميلاد كل مصريتنا، رغم طول الحَمل وأوجاعه، وصعوبة المخاض.. رغم أن أول لحظات الميلاد بكاء، إلا أن الدموع ..دموع فرح، ورغم طول عتمة الظلام إلا أنها تُنسى ببزوغ شمس الحرية، وشروق فجر الأمل. هي حالة من النشوة

تكاد تعانق السحاب، وتلمس السماء. تكاد وأنت تهتف بالحرية أن يسمع صدى صوتك من هم في القبور..

قد نظن نحن أن كل مَن في القبور ماتوا، إلا أن بعضهم عاشوا بأفكارهم، فكدنا نراهم ونتحسسهم في خطواتنا نحو اليقين.

وهناك مَن نظن أنهم أحياء، ونراهم يدوسون خطواتنا نحو اليقين. هم أناس يعيشون بيننا، ويظنون أنهم أحياء. كتبوا شهادة وفاتهم عندما سرقوا أحلام الضعفاء، وباعوا الوهم للفقراء، واغتالوا ضحكاتهم من أجل أن يملئوا هم الدنيا صخباً ولعباً !

أناس،بقدر غبائهم، صنعوا بذكاء بالغ لُعبة القدر في تعجيل النهاية، في ضرورة أن يبدأ الشعب تسطير الحكاية، حكاية شعب ..

١٨ يوم .. حكاية شعب

في يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١، كان يوم عيد الشرطة المصرية. وسبقته دعوات على المواقع الاجتماعية الشهيرة، مثل "فيس بوك" و "تويتر" إلى تنظيم تظاهرات للتنديد بتعذيب الشرطة، وقتلها للمواطنين الأبرياء، خاصة بعد مقتل خالد سعيد وسيد بلال في الإسكندرية.

أُعلن عن يوم ٢٥ يناير إنه يوم غضب للمصريين. وكان أكبر إنجاز يمكن تخيله وقتها هو إقالة وزير الداخلية المصري، وتعيين آخر غيره. لم تكن الشرطة تتوقع خروج عدد كبير من المصريين، كما لم يتوقع المصريون أنفسهم خروج كل هذه الأعداد التي وصلت إلى ملايين. خرج المصريون وفي أذهانهم بريق الثورة التونسية، ونسيم الحرية.

اليوم الأول: الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١

خرجت المظاهرات السلمية في كل محافظات مصر، كان مركزها القاهرة باعتبارها العاصمة، وحدث شد وجذب بين الأمن والمتظاهرين. حاول فيها الأمن الضغط بقوة، لفض هذه التظاهرات سريعا. وحاول فيها المتظاهرون احتواء الأمن من أجل التأكيد على سلمية تظاهراتهم.

كانت محافظتي السويس والإسكندرية هما الأكثر قوة في عدد المتظاهرين. ربما لأن السويس عرفناها تاريخيا بأنها محافظة ثائرة مقاومة، تعادي من يعادي الحرية والسلام. ولأن الإسكندرية كانت هي أكثر محافظات مصر في عدد ضحايا التعذيب والقتلى، لدرجة أن البعض وصفها - تعقيبا على اختيارها عاصمة الثقافة العربية - بأنها "عاصمة التعذيب العربية" !

شملت المظاهرات محافظات أخرى، ولكنها لم تكن بنفس حدة وقوة القاهرة والإسكندرية والسويس. ونتج عن اليوم الأول سقوط عدد قليل من الضحايا، وعدة إصابات في رجال الأمن. ودخل عدد كبير من المتظاهرين إلى ميدان التحرير، وحاولت الشرطة حتى منتصف الليل تفريقهم، ولكن دون جدوى.

فكانت الخطة التي لم يضعها أحد، تؤكد براعة اختيار ميدان التحرير للتظاهر. لأن باحتلاله، يحدث شلل كامل في الجسد القاهري، وتجلت براعة الشخصية المصرية في عدم ترك الميدان، وهو ما أدى إلى استمرار يوم الغضب، ليوم ثانٍ يحمل أحداثا أكثر أهمية ...

اليوم الثاني: الأربعاء ٢٦ يناير ٢٠١١

في منتصف الليلة الأولى، حاولت قوات الأمن بكل قوتها فض المتظاهرين الذين كانوا بضعة الآف، فقامت قوات الأمن بإلقاء القنابل المسيلة للدموع، واعتقلت كل من يقع تحت يدها، وضربت وطاردت عددا كبيرا في الشوارع المحيطة بميدان التحرير.

وفجأة، تحول ميدان التحرير والمناطق الحيطة به إلى حرب شوارع. حرب بين بطش الأمن وهجومه، ودفاع المتظاهرين وقوة عزيمتهم، كان الأمن يهجم على ميدان، والمتظاهرون يدافعون عن وطن !

وبدا أن الإسكندرية كانت كذلك، حيث اختفى البحر، وتحولت المدينة الصاخبة، التي كانت تضحك وتسهر حتى الصباح الباكر ، إلى مدينة صامتة إلا من أصوات رجال الأمن وهم يضربون ويعتقلون، وأصوات رجال الحرية وهم يتغنون بها .

وازدادت الاحتجاجات بمحافظة السويس، وكانت هي الأخرى تكاد تشبه حرب الشوارع. وكان كبار أهل السويس، والمناضل حافظ سلامة قائد القوات الشعبية للمقاومة في حرب أكتوبر، يستعيدون ذكريات الماضي، ويسمعون أصوات شهداء السويس في ١٩٥٦ وهتافات النصر في أكتوبر ١٩٧٣.

وكان شباب السويس - الصغار سنا والكبار قيمة وقامة- يحاولون أن يستعيدوا أمجاد آبائهم وأجدادهم على أرضهم الثائرة المقاومة. أن يستعيدوا الدفاع عن أرضهم ضد أعداء الوطن "المصريين" كما فعلها مَن قبلهم ضد أعداء الوطن " غير المصريين" !

ولأن الثورة بدأت من العالم الافتراضي، وانتقلت إلى العالم الواقعي، قامت السلطات المصرية بمنع موقعي ال "فيس بوك" و"تويتر"، ظنا من النظام أن ذلك سيساعد على إخماد الثورة، أو الانتفاضة كما كانت تسمى وقتها. ولكن نجح النظام في صناعة الثورة الحقيقة عليه، بغبائه المعهود في التعامل مع الأزمة، حيث ظل النظام حتى اليوم الثاني يتعامل مع الموضوع باعتباره "طيش شباب الفيس بوك"، وتعامل الإعلام الحكومي بمنتهى السطحية والابتذال، ليبدأ يوم جديد من أيام الثورة ..

اليوم الثالث: الخميس ٢٧ يناير ٢٠١١

بدأ اليوم الثالث بما يمكن أن نسميه "غيرة جغرافية". حيث انتهى احتكار القاهرة والإسكندرية والسويس لصدارة الأحداث في صناعة الثورة، ودخلت معظم المحافظات المصرية على خط المنافسة الشريفة من أجل تحقيق حلم واحد.

و في صباح اليوم، اقتحم متظاهرون بوابات وزارة الخارجية المصرية، وأضرموا النار في عجلات السيارات في الشوارع، وبدأ الأمر يقلق النظام أكثر، ويشعر معه بأن ما يحدث ليست مجرد انتفاضة عادية، لكنها تسير في اتجاه ثورة.

وظن النظام بأن قطع الخدمة عن موقعي "فيس بوك" و"تويتر" قد ينهي الأحداث، وهو ما لم يحدث. فقامت السلطات المصرية بقطع شبكات الإنترنت عن مصر. وبدت مصر من وجهة نظر النظام معزولة تماما عن العالم، ولكنها في الحقيقة كانت في قلب الحدث.

ولكنهم يمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.. فكانت الثورة في عز احتياجاها لنقطة تجمع.. تم قطع الإنترنت، فجاء القدر بنقطة تجمع هي التي أكسبت الثورة زخماً، وأحدثت نقلة كبيرة في طريقها لتحقيق أهدافها.. حيث صلاة الجمعة .. جمعة الغضب

اليوم الرابع: الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١

شكّل اليوم الرابع التاريخ الأهم في أيام الثورة، لأن الثورة امتدت جغرافيا إلى مناطق أكثر، ومحافظات أكثر، ومدن وقرى. وبدأت ،بعد أداء صلاة الجمعة، تظاهرات شعبية واسعة في عدد من المدن المصرية. فخرج مئات الآلاف في أغلب المدن المصرية ينددون بالنظام، ويهتفون "الشعب يريد إسقاط النظام".

بدا ميدان التحرير هو الرمز، لكل من كان يستطيع أن يكون في الميدان. تعامل الأمن بمنتهى الوحشية، وقام بإطلاق القنابل المسيلة للدموع. وحاول قدر الإمكان منع المتظاهرين

من الوصول إلى ميدان التحرير، فلجأ الأمن إلى استخدام الرصاص المطاطي، ولاحق رجال أمن بملابس مدنية المتظاهرين، وقاموا باعتقال بعضهم. إلا أن جموع المتظاهرين واصلت تظاهرها، وبدأ المتظاهرون بالتوجه إلى القصر الرئاسي، وهم يَهتفون بسقوط الرئيس المصري.

مع عصر اليوم، كان المتظاهرون قد نجحوا في السيطرة بالكامل على مدينتي الإسكندرية والسويس. فقد تم إحراق جميع مراكز الشرطة في الإسكندرية، واضطرت قوات الأمن في آخر الأمر إلى الانسحاب من المدينة بعد الفشل في قمع المتظاهرين.

أما في السويس، فقد سَيطَرَ المتظاهرون على أسلحة قسم شرطة الأربعين، واستخدموا القنابل المُسيلة للدموع ضد رجال الأمن، بينما شاعت أنباء عن سيطرة المتظاهرين على المدينة، وطرد قوات الأمن منها.

تم حرق مقر للحزب الوطني - الحزب الحاكم الرئيسيّ - الواقع في مدينة القاهرة. كما دمرت مقرات الحزب في عدة مدن، بما في ذلك كوم امبو ودمياط. وقام المتظاهرون - فضلاً عن ذلك - بإتلاف جميع صور الرئيس حسني مبارك في مسقط رأسه شبين الكوم بمحافظة المنوفية، وبالتالي كانت بداية النهاية لسقوط النظام.

في حدود الخامسة بعد الظهر، بدأت قوات الجيش بالظهور في ميادين القاهرة. وفي الخامسة والنصف، تم الإعلان إن الحاكم العسكري يُعلن عن حظر التجول في القاهرة والإسكندرية والسويس. لكن بالرغم من ذلك، فقد تحدت جموع المتظاهرين حظر التجوال.

في نهاية اليوم، نزلت مدرعات الجيش المصري إلى شوارع المدن لمساندة قوات الشرطة التي لم تعد قادرة على تحمل الضغوطات وحدها. بدأت حالات من النهب والسلب، تقول الحكومة إنها من المتظاهرين، لكنهم في واقع الأمر كانوا من البلطجية والمساجين الذين حررتهم وزارة الداخلية من أقسام الشرطة والسجون العامة، لترويع المواطنين، وحث المتظاهرين على التراجع.

المتظاهرون يقفون بالمرصاد لمحاولة سرقة المتحف المصري، وافتخر إنني كنت واحدا من هؤلاء الذين صنعوا من أنفسهم دروعا بشرية لحماية المتحف المصري من السرقة. كنا نحاول أن نحافظ على التاريخ من السرقة، ونحن بصدد صناعة تاريخا جديدا .. تاريخ المستقبل.

وكانت أهم نتائج اليوم الرابع، هي أن الثورة لم تعَد ثورة شباب فقط، ولكنها توسعت لتشمل كل الفئات العمرية. كذلك لم تعد الثورة محصورة في مناطق بعينها، ولكنها امتدت

لتشمل معظم محافظات ومدن وقرى مصر. كذلك كان بداية الصدام الفعلي مع مؤسسات الدولة، ومقار الحزب الحاكم، وسقوط عدد كبير من القتلى والجرحى، وهو ما زاد من حماس الثوار. زادهم يقينا بأن الحلم قد بات قريبا لأن دماء أبناء الوطن لن تضيع هدرا.

اليوم الخامس: السبت ٢٩ يناير ٢٠١١

كان يحمل اليوم الخامس من أيام الثورة أول مواجهة بين الرئيس مبارك والثوار. بين ما يتطلعون إليه، وبين ما يريده هو. خرج الرئيس يعتقد أنه يريد، ولكنه افتقد لحقيقة أن الشعب هو الذي يريد.

جاء خطاب الرئيس مبارك في ذلك اليوم، ليؤكد على بُعد المسافة الزمنية بين تطلعات الثوار، وبين ما يعتقده الرئيس. حيث تؤكد بأن الرئيس يتحرك بسرعة السلحفاة، والثوار يتحركون بسرعة الضوء. بعد أن أعلن الرئيس مبارك عن وعده بحل المشكلات الاقتصادية، وقام بحل الحكومة، مع وعد بتشكيل حكومة أفضل، وتوفير فرص أكبر للشعب المصري للنمو والرخاء، وترك مزيد من الفرص للحريات.

وأكّد الخطاب أن الرئيس مبارك مازال مُغيبا عن الحدث. لأن المطلب الأول للثورة هو تنحية الرئيس واسقاط نظامه، وبالتالي تم رفض هذا الخطاب، وتجددت المظاهرات في البلاد مرة أخرى، وجاء خطاب الرئيس بمثابة دفعة معنوية أكبر لتحقيق الحلم، واستنشاق الحرية.

وكما نجح النظام في صناعة اليأس، هاهو يحاول أن يُلقي بكل ثقله في صناعة أخرى، هي صناعة الفوضى، حيث انتشرت عصابات في كافة أحياء أنحاء مصر ، تقوم بأعمال النهب والسلب، مع تجاهل تام للشرطة المصرية، بل ومع تكهنات بأن المحرض الأساسي للسرقة هم رجال الشرطة.

وفي اليوم الخامس للثورة، استمر تدمير كثير من مقرات الحزب الوطني، وأقسام الشرطة في جميع أنحاء مصر. وارتفعت محصلة القتلى والجرحى، ومواصلة قطع شبكات الإنترنت في مصر.

وبحل الحكومة، تم الإعلان عن تولى الفريق أحمد شفيق رئاسة الوزراء، وتعيين عمر سليمان نائبا للرئيس، وهو ما أدى إلى تجدد الرفض الشعبي لتعيين عمر سليمان وتولى شفيق. وانقسم المصريين بين مؤيد ومعارض للرجلين. بين من يبحثون عن الأمن ويريدونه سريعا فأيدوا، ومن يبحثون عن الحرية، ويعلمون أن الرحلة ليست قصيرة، طالما إنها في اتجاه تحقيق الحلم، فرفضوا. وهناك من أيدوا أو رفضوا الرجلين عن قناعة بأنهما الحل الأفضل، وكأن النظام كان يقرّر ما في صالح الثورة دون أن يدري.

اليوم السادس للثورة: الأحد ٣٠ يناير ٢٠١١

جاء اليوم السادس ليحمل مزيدا من الهتافات المنادية بضرورة رحيل الرئيس مبارك، وزاد عدد المتظاهرين، مما حدا بالجيش إلى زيادة قواته في مختلف المدن المصرية، وأدى اختفاء الشرطة إلى زيادة أعمال البلطجة والعنف والسرقة، فقام الأهالي بعمل لجان للدفاع عن أنفسهم سُميت بـــ "اللجان الشعبية".

واستمرت المظاهرات في ميدان التحرير في تحد لحظر التجول. وقبضت القوات المسلحة على الآلاف من الخارجين على القانون وتقديمهم للمحكمة العسكرية، وهرب عدد كبير من السجناء السياسيين، وعدد كبير من قيادات الإخوان المسلمين من السجون.

وبدا النظام في طريقه لصناعة حالة من الفوضى، والشعب المصري في طريقه لصناعة تاريخ جديد مشرق ...

اليوم السابع: الاثنين ٣١ يناير ٢٠١١

استمرار المظاهرات العارمة في أنحاء مصر، وعشرات الآلاف من المتظاهرين يحتلون ميدان التحرير بوسط القاهرة، يستعدون لتنظيم صلاة الغائب على أرواح قتلى الاحتجاجات.

تحدى المتظاهرون حظر التجوال الذي تم تمديده من الثالثة ظهرا وحتى الثامنة صباحا، وواصلوا بقاءهم في الميدان للمطالبة

برحيل نظام الرئيس حسني مبارك. في حين تعهد الجيش المصري - في وقت سابق - بالامتناع عن استخدام القوة ضد المتظاهرين. اختار الجيش أن يقف إلى جانب الشعب، لكن الاختيار لم يتحول إلى قرار بَعد.

اليوم الثامن: الثلاثاء ١ فبراير ٢٠١١

حاول شهر فبراير أن ينافس شهر يناير في صناعة التاريخ، فاستأذنه أن يكمل المسيرة، فكانت المظاهرات المليونية، حيث تم تقدير العدد الإجمالي للمتظاهرين بحوالي ثمانية ملايين شخصا في القاهرة وسائر أنحاء مصر، مطالبين بتنحي الرئيس حسني مبارك ونظامه عن الحكم.

وكانت السلطات المصرية قد أغلقت كل الطرق المؤدية إلى القاهرة من المحافظات المجاورة، كما أوقفت كل خدمات السكك الحديدية والحافلات لمنع المتظاهرين من التوجه إلى العاصمة، حيث كانت تريد قطع شريان ثورة ٢٥ يناير.

وليؤكد شهر فبراير على تاريخيته أيضا، بدأ أول أيامه بخطاب ثان للرئيس مبارك، أعلن فيه عدم ترشحه لولاية جديدة، ودعوته لتنفيذ حزمة من الإصلاحات السياسية والدستورية، وسط تكهنات بأن هذا الخطاب سيعلن فيه الرئيس مبارك عن تنحيه. وبدا الرئيس مبارك أكثر قلقا، وأقل

ثقة مما كان عليه في خطابه الأول. وجاء خطابه مخيباً للآمال، ورفضه المتظاهرون، فيما أيده عدد لا بأس به من المصريين.

حيث أيد الخطاب من رأوا ضرورة أن يكمل الرئيس مدته الدستورية كما أعلن، وأنه سيلتزم بأن لا يترشح لولاية جديدة، وأنه أعلن عن حزمة كبيرة من الإصلاحات، وأن الثورة حتى هذا التوقيت قد حققت إنجازات كبيرة، ولكن كان اليوم الثاني من نوفمبر يحمل أحداث لم يكن لأحد أن يتخيلها...

اليوم التاسع: الأربعاء ٢ فبراير ٢٠١١ (موقعة الجمل)

كان هذا اليوم من أصعب الأيام على الثورة، حيث خرج عدد كبير من مؤيدي الرئيس مبارك ومؤيدي خطابه الأخير، وبات الوضع كأن مصر تتجه نحو حرب أهلية بين مؤيدي الرئيس ومعارضيه. بين هؤلاء الذين رأوا أن الثورة نجحت بما وصلت إليه من إنجازات، وهؤلاء الذين يرون أن نجاح الثورة بإسقاط النظام فورا !

وعادت خدمة الإنترنت في جميع أنحاء مصر بعد توقف دام ٥ أيام، كما أعلن التلفزيون المصري عن اعتقال أجانب بحوزهم أسلحة في العريش، كما صدر قرار باستمرار تعليق عمل البورصة المصرية حتى يوم الخميس.

وأعلن الدكتور محمد البرادعي أن طلب مبارك تعديل الدستور خدعة للاحتفاظ بالسلطة، ودعت القوى المعارضة إلى مواصلة التظاهر، وتقول إنها لن تتفاوض مع السلطة، ما لم يغادر الرئيس مبارك سدة الحكم. والجيش المصري يقول للمتظاهرين "إن رسالتهم وصلت... ونحن ساهرون على تأمين الوطن" وعليهم العودة إلى حياتهم العادية.

واندلعت اشتباكات كبيرة في نهار الأربعاء، حين حاول أنصار الرئيس مبارك دخول ميدان التحرير في وسط العاصمة بالقوة في محاولة منهم لإخراج الآلاف من المحتجين الذين يعتصمون هناك منذ أيام داعين إلى تنحي الرئيس فيما سُمي إعلاميا "موقعة الجمل".

وقد تراشق الطرفان بالحجارة في معارك كر وفر استمرت ساعات. وبحسب روايات شهود العيان رمى مؤيدوا مبارك في وقت لاحق بقنابل حارقة، وقطع من الأسمنت على المعتصمين في ميدان التحرير من أسطح البنايات المجاورة. وكانت قوات الجيش قد رفضت التدخل، ولكنها أطلقت النار في الهواء في محاولة منها لتفريق المتظاهرين.

واتهم المتظاهرون رجال شرطة - بلباس مدني - باقتحام الميدان، والاعتداء على المحتجين على حكم مبارك، وعرض بعض المتظاهرون هويات شرطة سقطت من المقتحمين.

في بداية الاشتباكات، حاول بعض المؤيدين لمبارك اقتحام الميدان على ظهور الخيل والجمال، أو على عربات تجرها الخيول، وهم يلوحون بالسياط والعصي. ومع استمرار سقوط الضحايا، تحول ميدان التحرير إلى موقع لعلاج الجرحى. وبعد بدء سريان حظر التجول، استمر اعتصام المحتجين في الميدان، وبدأ بعضهم في إزالة آثار المصادمات، وشكل هذا اليوم، اليوم الأصعب في تاريخ الثورة، والأصعب على الثوار.

وفي هذا الخضم، حث عمر سليمان نائب الرئيس المصري جميع المتظاهرين على العودة إلى منازلهم، و التقيد بحظر التجول من أجل استعادة الهدوء قائلا إن الحوار مع القوى السياسية مرهون بانتهاء الاحتجاجات في الشوارع. وقال نائب الرئيس إن الحوار مع القوى السياسية الذي يضطلع به، بناء على تكليف السيد الرئيس، يتطلب الامتناع عن التظاهرات، وعودة الشارع المصري للحياة الطبيعية بما يتيح الأجواء المواتية لاستمرار الحوار ونجاحه.

اليوم العاشر: الخميس ٣ فبراير ٢٠١١

كان فجر اليوم العاشر بمثابة يوم مكمّل لأحداث موقعة الجمل، حيث إنه، وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف فجرا، وكما كان متوقعا، بدأ هجوم آخر من البلطجية على المعتصمين بميدان التحرير من جهة ميدان عبد المنعم رياض ومن

فوق كوبري السادس من أكتوبر، وكان الهجوم الأكثر وحشية على المعتصمين هناك، حيث تمثل الهجوم في سيارات تمر من أمام الميدان، بها بلطجية يطلقون النار عشوائيا من المدافع الرشاشة ،وبكثافة غير معهودة، مما أدى إلى سقوط حوالي ٧ قتلى، والكثير من الجرحى. ولكن مع بداية ظهور الخيوط الأولى من ضوء النهار، انتهى هذا الهجوم الوحشي، وقد قيل أن الجيش أطلق الرصاصات في الهواء لإرهاب البلطجية.

وحمل أيضاً هذا اليوم، بداية تحقيق دولة القانون التي سعى إليها الثوار، حيث لا يفرق القانون بين غني أو فقير. حيث أصدر النائب العام المصري عبد المجيد محمود قرارًا بمنع سفر أحمد عز، أمين التنظيم السابق في الحزب الوطني، ووزير الداخلية السابق حبيب العادلي، ووزير السياحة السابق زهير جرانة، ووزير الإسكان أحمد المغربي، وجاء في القرار تجميد حسابات المصارف لهؤلاء، كما شمل القرار عددًا آخر من المسئولين.

وجاء الظهور الثالث للرئيس مبارك - ولكن كان ذلك من خلال تصريحاته مع قناة إيه بي سي الأمريكية - قال حسني مبارك إنه يود الاستقالة، لكنه يخشى الفوضى! وقال إنه مستاء جدًا لمشاهد العنف في البلاد، ولا يريد أن يرى المصريين يقتتلون فيما بينهم.

وفي حوار لنائب الرئيس عمر سليمان للتلفزيون المصري، أكد أن الرئيس المصري لا يريد الترشح للانتخابات، ولا ابنه السيد جمال مبارك كما كان يدعى البعض، وأضاف قائلاً إنه أيضا لا يريد الترشح للانتخابات الرئاسية، حتى يبطل أقوال القائلين إن الرئيس مبارك عين سليمان ليتولى من بعده الرئاسة، ويكون عونا له ليحميه بعد تركه الحكم.

وقال سليمان إنه كان عرض على جميع المعارضين عمل اجتماع مع الحكومة الجديدة، ويوجد منهم من وافق، وقال إن مصر لن تقبل تدخلا أجنبيا في شؤونها الداخلية، مستغربا تلك المواقف من دول كانت تعتبر "صديقة" في إشارة على ما يبدو إلى الولايات المتحدة.

اليوم الحادي عشر: الجمعة ٤ فبراير ٢٠١١ (جمعة الرحيل)

خرج ملايين المصريين يرفعون شعارات تطالب برحيل نظام الرئيس مبارك، وسميت بـــ "جمعة الرحيل"، وأكد رئيس الوزراء أحمد شفيق استحالة تخلي الرئيس مبارك عن السلطة، أو حتى أن يتنازل عن سلطاته لنائبه عمر سليمان.

اليوم الثاني عشر:السبت ٥ فبراير ٢٠١١

ظلت المظاهرات في ميدان التحرير وكثير من المدن المصرية، وكانت أهم الأخبار التي تم تداولها هي وضع وزير الداخلية

السابق حبيب العادلي مع ٣ من قياداته تحت الإقامة الجبرية، و استقالة جمال مبارك وصفوت الشريف من هيئة مكتب الحزب الوطني الحاكم، وتعيين الدكتور حسام بدراوي أمينا عاما للحزب الوطني..

اليوم الثالث عشر: الأحد ٦ فبراير ٢٠١١ "أحد الشهداء"

أجرت جماعات المعارضة، وبينها جماعة الإخوان المسلمين، وبعض المستقلين حواراً مع عمر سليمان نائب الرئيس، تم فيه التوافق على تشكيل لجنة لإعداد تعديلات دستورية في غضون شهور، والعمل على إنهاء حالة الطوارئ، وتشكيل لجنة وطنية للمتابعة والتنفيذ، وتحرير وسائل الإعلام والاتصالات، وملاحقة المتهمين في قضايا الفساد.

شباب الثورة يرفضون الحوار مع النائب عمر سليمان، ويعتبرون الحوار "لا يخدم الانتفاضة الشعبية". يرفض مطلب شباب الثورة بأن يعلن الرئيس تفويض صلاحياته لنائبه.

أقام الآلاف في ميدان التحرير "أحد الشهداء"، حيث صلى المسلمون صلاة الغائب على روح "الشهداء" الذين قتلوا في الأحداث، وأدى المسيحيون "قداس الأحد" بحضور الآلاف من المسلمين، في مشهد مهيب يعبر عن توحد أطراف الشعب، وتجسدت في هذا اليوم أنبل وأعظم صور الوحدة الوطنية.

اليوم الرابع عشر: الاثنين ٧ فبراير ٢٠١١

استمرار المظاهرات الحاشدة في ميدان التحرير والمدن المصرية، للمطالبة بإسقاط نظام مبارك. وبدأت النيابة المصرية بالتحقيق في مزاعم بمسؤولية وزارة الداخلية عن تفجير كنيسة القديسين، والعادلي يتهم كبار مساعديه بالتسبب في انهيار الشرطة.

واجتمع الرئيس حسنى مبارك بالحكومة الجديدة في مقر رئاسة الجمهورية بمصر الجديدة، وحضر الاجتماع نائبه عمر سليمان، والدكتور أحمد شفيق رئيس الوزراء، والدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب، وصفوت الشريف رئيس مجلس الشورى، والمشير حسين طنطاوي وزير الدفاع والإنتاج الحربي.

وكذلك بدأت محكمة النقض في توزيع كل الطعون الانتخابية المقدمة ضد أعضاء مجلس الشعب على دوائر المحكمة لسرعة البت فيها، ورئيس المحكمة المستشار سري صيام يقول إن الطعون على الانتخابات البرلمانية البالغ عددها ١٥٢٧ طعناً موزعة على ١٩٥ دائرة انتخابية.

اليوم الخامس عشر: الثلاثاء ٨ فبراير ٢٠١١

المليونية الثانية في أسبوع الصمود، حيث استمرت المظاهرات الحاشدة في ميدان التحرير والإسكندرية وعدد من

المدن المصرية، للمطالبة بإسقاط نظام مبارك. والمتظاهرون في القاهرة يعطلون المؤسسات الحكومية، حيث تظاهر الآلاف أمام مجلسي الشعب والشورى، ومقر رئاسة الوزراء.

ظهور بعض الإضرابات والاعتصامات الفئوية بعدد من المؤسسات منها روزاليوسف والعاملين بالتلفزيون المصري.

اليوم السادس عشر: الأربعاء ٩ فبراير ٢٠١١

استمرت المظاهرات العارمة في كافة أنحاء الجمهورية، وزاد عدد المظاهرات الفئوية لأول مرة منذ اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير، حيث حاصر الآلاف مقر محافظة كفر الشيخ، وأحرقوا مقر القوى العاملة.

كذلك دخل عمال المصانع البترولية مثل "بتروتريد" و"بترومنت" و"إبيسكو" و"التعاون" و"أنابيب البترول" في إضراب، وذلك للتعبير عن مطالبهم ورفضهم لاستمرار المهندس سامح فهمي وزيراً للبترول.

وقطع موظفو الهلال الأحمر في رمسيس الشارع محتجين على عدم تعيينهم رغم عملهم لمدة تتجاوز العشرين عاما.

وشارك أيضاً في الإضرابات عمال ورش بولاق، وورش كوم أبوراضي، وعمال شركة مياه الشرب، والصرف الصحي بالقاهرة، وهيئة النظافة.

كذلك حدثت اضطرابات في نقابة الصحفيين، حيث عقد بعضهم مداولات لسحب الثقة من نقيب الصحفيين مكرم محمد أحمد، بسبب مواقفه الموالية للنظام، وهجومه على ثورة ٢٥ يناير، وقد تظاهر بعض الصحفيين بمقر النقابة، وطردوه.

اليوم السابع عشر: الخميس ١٠ فبراير ٢٠١١

إصدار المجلس الأعلى للقوات المسلحة للبيان الأول، حيث قال فيه إنه اجتمع في إطار الالتزام بحماية البلاد، والحفاظ على مكتسبات الوطن، وتأييدا لمطالب الشعب المشروعة. وقرر الاستمرار في الانعقاد بشكل متواصل لبحث ما يمكن اتخاذه من تدابير وإجراءات لحماية البلاد.

وقد تحدث بعض المحللون عن انقلاب عسكري وشيك، وتدخل من قيادات الجيش، مستندين في ذلك لانعقاد المجلس في غياب قائده الأعلى، وهو الرئيس مبارك حيث رأس المشير حسين طنطاوي الاجتماع.

وإعلان مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ليون بانيتا عن تقارير باحتمال تنحي مبارك خلال ساعات (الخميس ليلا)، كما صرّح د.حسام بدراوي، الأمين العام للحزب الوطني الديمقراطي، بأنه يتوقع أن يستجيب الرئيس مبارك لمطالب المتظاهرين قبل الجمعة، ووفقا ما أوردته البي بي سي فإن الفريق أحمد شفيق رئيس الوزراء بدوره أكد أن الرئيس مبارك قد يتنحى.

كان الجميع في ميدان التحرير، وفي كل أنحاء مصر، في انتظار تنحي الرئيس مبارك، وانتشرت الافراح في كل أنحاء مصر، حتى قام الرئيس مبارك بتوجيه خطابه الثالث للشعب المصري، ويفـــــاجأ الجميع برفض التنحي، وأعلان تفويض سلطاته لنائبه عمر سليمان.

وقد استهل مبارك خطابه بكلمة للشباب المحتجين في ميدان التحرير وفي كل الميادين، قائلاً إنه يعتز بهم كرمز، وشدد على أن دماء الشهداء لن تضيع هدراً، وأنه لن يتهاون في معاقبة المتسببين فيها. وأكد حرصه على تنفيذ كل ما وعد به، وأنه يعرف أن مطالب الشباب عادلة ومشروعة، مشيراً إلى أن الأخطاء واردة في كل نظام سياسي، لكن الحرج والعيب كل العيب هو الإملاءات الأجنبية من الخارج أياً كان مصدرها أو مبرراتها. وجدّد مبارك تأكيده على أنه لن يترشح للانتخابات الرئاسية، وأنه متمسك بالاستمرار حتى نقل السلطة لمن يختاره الناخبون في الانتخابات المقبلة.

وأشار إلى أن الحوار الوطني بدأ بالفعل، وأنه أسفر عن توافق مبدئي لوضع خريطة طريق للانتقال السلمي للسلطة حتى سبتمبر المقبل. وقال مبارك إنه بمقتضى الصلاحيات المخولة له تقدم بطلب تعديل خمس مواد دستورية، مع تأكيد الاستعداد للتقدم بأي تعديلات أخرى في في وقت لاحق. وتهدف تلك

التعديلات لتسهيل شروط الترشح للرئاسة، وتعديل مدد الرئاسة، والتمهيد لإلغاء قانون الطوارئ. وشدّد الرئيس المصري على إنه لم يخضع يوماً لضغوط أو إملاءات، وأنه عمل على أمن واستقرار مصر، وشهد حروبـــها، وأنها ستظل أرض المحيا والممات، وبلدا عزيزا لا يفارقه.

رفض المتظاهرون في ميدان التحرير خـــطاب مبارك الذي خيب آمالهم، والذي رفض فيـــه التنحي عن سدة الحكم. وقد قاطع المتظاهرون خطاب مبارك عندما شرع في القول بإنه "أفنى عمره دفاعاً عن أرض مصر" وأنه "شهد حروبها". حيث غضبوا ، وطالبوه بالرحيل، وقد رفع بعض المتظاهرين أحذيتهم، ولوحوا بها أمام الشاشة التي كانت تبث الخطاب تعبيرا عن غضبهم من عدم استجابة الرئيس لمطالبهم ،ورثائه لنفسه.

وبعد انتهاء الخطاب، هتف المتظاهرون في حالة غضب شديدة "يسقط يسقط حسني مبارك" ، "ارحل" وطالبوا بتدخل الجيش المصري، والتوجه للقصر الجمهوري في "جمعة التحدي". وقد حذر البرادعي من أن البلاد على وشك انفجار، وعلى الجيش أن يتدخل.

وقام النائب عمر سليمان يوجه كلمة للشعب المصري عقب تفويضه بسلطات رئيس الجمهورية، طالب فيها المواطنون بالنظر للمستقبل، وعدم السماع لأجندات التخريب والفوضى، وجدد تعهده بتنفيذ ما تم التوافق عليه في الحوار الوطني، وطالب الشباب بالعودة لديارهم . وقد رفض المتظاهرون من جديد خطابه، وطالبوه بالرحيل، وبدأ الحديث عن جُمعة الزحف لقصور الرئاسة.

اليوم الثامن عشر: الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ "جمعة الزحف"

اليوم الأخير في ملحمة الثورة المصرية، في "جمعة الزحف ": حشود مليونية تتجاوز العشرة ملايين في أنحاء الجمهورية مع الزحف إلى قصور الرئاسة، وبخاصة قصر القبة الرئاسي بالقاهرة، والقصر الرئاسي برأس التين بالإسكندرية. حتى جاء خطاب التنحي في الساعة السادسة مساءً بالتوقيت المحلي، حينما أعلن سليمان استقالة مبارك، وأن المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية سيتولى قيادة البلاد.

أعلن سليمان تخلي الرئيس مبارك عن الحكم، لينجح المصريون في إسقاط نظام مبارك، ويخرج المصريون في كل أرجاء مصر، وفي كل عواصم العالم، يحتفلون بالحرية، وبالانتصار العظيم..

٢٥ يناير .. ليست الأولى

لم تكن تلك المرة الأولى التي يثور فيها المصريون في تاريخهم الحديث، أي منذ ما يقرب من مائتي عام أو يزيد. حيث إنها لم تكن المرة الأولى التي يخلعون فيها رئيسهم ، ويأتون بمن يريدونه حاكما عليهم. حدث ذلك في يوم ٢ مايو سنة ١٨٠٥، حيث عمّت الثورة أنحاء القاهرة ضد الوالي خورشيد باشا.

واحتشدت الجماهير في الشوارع والميادين يضجون ويصخبون، وطالب المصريون بخلع الوالي، وكان السيد عمر مكرم هو أشهر من ينادي بضرورة التغيير آنذاك، وهو أشبه ما يكون بالدكتور محمد البرادعي في ثورة ٢٥ يناير. وفي يوم ١٣ مايو، قرر الزعماء في دار الحكمة عزل خورشيد باشا، وتعيين محمد علي بدلا منه، بعد أن أخذوا عليه شرطا:

"بأن يسير بالعدل ويقيم الأحكام والشرائع، ويقلع عن الظلم، وألا يفعل أمرا إلا بمشورة العلماء، وإنه متي خالف الشروط عزلوه"

وفي يوم ١٦ مايو ١٨٠٥ تم عزل الوالي خورشيد باشا، ونجحت الثورة الشعبيـــة المصرية، وبدأ محمد علي أحلامه في بناء الدولة المصرية الحديثة.

وبالتالي فإن الشخصية المصرية ليست كما حاول البعض التقليل من قيمتها بأنها شخصية تتسم بالخنوع والخضوع. التاريخ يؤكد ذلك ، وكذلك الحاضر المتمثل في ثورة ٢٥ يناير. حيث أكدت على قيمة الشخصية المصرية، وأنها قد تصمت بعض الوقت، ولكنها لن تصمت كل الوقت.

قيمة الثورة لا تتوقف على روعة صناعة الحدث فقط، ولكن أيضاً على ما تنتجه الثورة وتحققه، ولابد أن نكون على يقين تام بأن الثورة بدأت و لم تنته، إنها بدأت بسقوط النظام، وستظل مستمرة طالما نسعى للأفضل.

حيث إن صناعة التاريخ من الصناعات الثقيلة، تحتاج التمهل والتروي، ومُتعة كتابة التاريخ أن تشارك في صناعته، كأن تكتب إن خالد سعيد هو أول شهداء ثورة ٢٥ يناير، وإن الرئيس مبارك أول رئيس مصري "سابق"، "سوابق"، "مخلوع"، "مسجون"، وإن ثورة ٢٥ يناير كالفعل المضارع، تفيد التجدد والاستمرار واستحضار صورة الوطن، الذي كان مفقودا ومُفتقدا.

لم يغب الشهداء عن المشهد ونحن نحتفل بسقوط النظام، لأنهم كانوا حاضرين بقوة في قلوب الجميع، نغني لهم، نفرح معهم، نحتضنهم بقوة، نقّبل أياديهم وأقدامهم، نتركهم ينامون على صدر الوطن الذي ربما هو الجنة الآن.

خاصة خالد "سعيد" الذي بكيت وبشدة، وأقسمت بالله أن حقه لن يضيع، وصنعت دموع أمه ودموع كل أمهات الشهداء أسطورة وطن، لأننا كنا على يقين تام بأن الخالق يمهل ولا يهمل.

الشباب هو من بدأ الثورة ولكن صنعها شعب بالكامل. وتمثل هذه المرحلة الانتقالية من حكم ديكتاتوري تسلطي إلى حكم ديمقراطي نطمح له، ما يشبه عُنق الزجاجة، تحتاج هذه الفترة إلى كثير من الحكمة.

ثورتنا التي بدأت لم ولن تنتهي، ستكون ثورتنا في كل الشوارع النظيفة، وفى كل تعاملاتنا اليومية باحترام ورُقي، ثورتنا مستمرة طالما الأحلام باقية، أحلامنا في حب مصر، أن نجعل مصر تلك اللوحة الفنية التي كثيرا ما رسمناها فقطعتها أيادي المفسدين.

٢٥ يناير .. ليست ثورة جياع !

في يناير ١٩٧٧ حدثت ثورة مصرية، كان الأقرب لتوصيفها انتفاضة، ودافعها هو رغيف الخبز. حيث انفجر الصمت المصري هديرا اهتز له نظام الحكم آنذاك. ورغم التعتيم الإعلامي على الأحداث، ومحاولة التقليل من الأمر، إلا إن ما تم تسميته "ثورة الجياع" كان كفيل بقلب نظام حكم السادات، وتهديد شرعيته.

خرج المصريون يهتفون ضد النظام الذي حاول تخفيض الدعم على الحاجات الأساسية، وساعد على ارتفاع الأسعار، بعدما حاول أن يوجههم إلى ضرورة أن نقتصد من أجل أن نحارب، ونحرر الأرض. فكان لسان حالهم يقول: وماذا بعد أربع سنوات من الانتصار في أكتوبر ١٩٧٣ ؟!!

أهم ما يجمع بين ثورتي يناير ١٩٧٧ و يناير ٢٠١١ على التوالي، أن الحدثين جمعهما شهر يناير، وجمعهما دفع الظلم، ولكن شتان بين دوافع الأولى ودوافع الثانية. خرج المصريون في ثورة يناير الأولى من أجل "لقمة العيش"، ومواجهة الغلاء والفقر، فبدت دوافع اقتصادية اجتماعية، بينما خرج المصريون في يناير الثانية من أجل الحرية ومواجهة الظلم والاستبداد، فبدت دوافع أخلاقية.

يلعب دائما النظام المستبد بإشكالية "الأمن والحرية" في مواجهة طموحات الشعوب، فيحاول النظام أن يمنح الشعب "كل " الأمن في مقابل " بعض " الحرية، وهو ما اتضح في فتح السجون، وهريب المجرمين أثناء ثورة ٢٥ يناير، لإحداث الفوضى، ولكي يندم المصريون على أيام مبارك الذي كان يحفظ الأمن للبلاد، ويقتلع نور الحرية من عيونهم.

وبالفعل خرج بعض البسطاء ليلعنوا الثوار، ويشتاقوا لعواصف الأمن، ويكرهوا نسيم الحرية !

حكى لي أحد الأصدقاء، وهو من إحدى قرى مصر، أن بعض أهل قريته الذين تابعوا الثورة من التلفزيون المصري، حيث المشهد الثابت الذي لا يتحرك على النيل، حيث يقف بعض مؤيدي الرئيس مبارك، في حين يلعب بعض المغفلين أدوارا تُرسم لهم في الحديث عن اليورو والكنتاكي والأجندات والمؤامرات، في حديثهم عن شباب الثورة وشباب ميدان التحرير.

أكدّ لي أن بعض جيرانه من ساكني القرية، أقسموا بأغلظ الأيمان أن يأخذوا فئوسهم ويخرجوا لكي يقاتلوا ويقتلوا كل من في ميدان التحرير، لأهم يريدون "خراب" البلد، وإن هؤلاء الذين خرجوا على نظام الرئيس مبارك هم "قلة مندسة" ولا يمثلون كل المصريين الشرفاء !

كانت الأداة الإعلامية دائما هي السند القوى لأي نظام مستبد، حيث ينجح الإعلام في عمل "غسيل دماغ" للأغلبية من المصريين الذين يترنحون بين أميّة، و فقر (سياسي، ثقافي، اجتماعي، واقتصادي). وبينما كان الإعلام غير الحكومي ينقل أحداثا لا تهدأ من كل أرجاء مصر، كان الإعلام الحكومي يؤكد أن شيئا لم يكن يحدث.

ردد النظام المصري في يناير الأولى في توصيفه للثوار بأنهم "رعاع وأوباش" على حد تعبير السادات. بينما ردد النظام المصري في يناير الثانية في توصيفه للثوار بأنهم "قلة مندسة"، حيث سأل مراسل البي بي سي السادات آنذاك عن توصيفه لما حدث، فكانت إجابة السادات إنها انتفاضة حرامية، وشارك بها مجموعة من الرعاع والأوباش.

فخرجت الكلمات صادمة لمراسل القناة –وهو غير مصري– فعاد وقال للسادات: ألا تجد حرجا أن تطلق على شعبك هذه الأوصاف ؟! فأجاب السادات في حسم وحزم: إنني أعني ما أقول، إنهم مجموعة من الرعاع والأوباش.

وكذلك كان رأي نظام مبارك أن من هم في التحرير هم "قلة مندسة" و "خارجين"، ينفذون "أجندة" من أجل تخريب البلاد !

كذلك كان من أهم ما جمع ثورتي يناير، هو المساحة الإعلامية العالمية التي أُفردت لهم، حيث إنه ، ولأول مرة في التاريخ، يشغل حدث واحد " كل" الإعلام الدولي " كل" الوقت. حيث كان كل الإعلام المرئي، والمسموع، والمقروء في العالم يتابع لحظة بلحظة ما يحدث في مصر، وهو ما حدث أيضا أثناء أحداث يناير ١٩٧٧.

خرجت بعض القنوات والإذاعات والصحف العالمية في يناير ١٩٧٧ بالحديث عن هروب الرئيس السادات خارج مصر، هناك من يؤكد أنه ذهب لأمريكا، وآخرون يؤكدون أنه ذهب لإيران حيث نظام الشاه، وآخرون ينفون ويؤكدون أنه مازال في البلاد، وهو ما حدث أيضا أثناء أحداث يناير ٢٠١١ حيث كثرت الأقاويل الإعلامية عن هروب الرئيس مبارك خارج البلاد، وأخرى تؤكد أنه مازال في مصر.

هذا الزخم الإعلامي يؤكد على حقيقة هامة للغاية، وهي أهمية وثقل مصر، وهو ما يؤكد أيضا أن مصر بصدد صناعة تاريخ جديد، صناعة تاريخ المستقبل، وأكدت ثورة ٢٥ يناير أنها لم تكن أبدا ثورة جياع -كما كان يعتقد المحللون والسياسيون قبل الثورة - وإنما كانت ثورة عظماء، خرجوا من أجل تحقيق الذات، وتحقيق الديمقراطية والحرية والعدالة.

انتهت يناير الأولى بقبضة حديدية من نظام السادات، شرع بعدها في تقليل الحريات، والقيام بحملة ضد الاشتراكيين والتقدميين والناصريين، وبدأ يمد الإخوان المسلمين والإسلاميين بالمال والسلاح من أجل مجابهة هؤلاء، دون أن يدري السادات أنه يمنح السلاح لمن سيوجه إليه رصاصة النهاية .. !

في حين انتهت ثورة ٢٥ يناير بخلع الرئيس مبارك، وإتاحة المجال لأحزاب جديدة للدخول في العملية السياسية، ليظل الإخوان المسلمين هم الأكثر تواجدا وتنظيما، بحكم تاريخهم الطويل مقارنة بالأحزاب الناشئة، وتم فتح أبواب السجون أمام القيادات السلفية لتخرج من جديد، ولكن لا نعلم من سيطلق الرصاص على من في قادم الأيام ؟!!

٢٥ يناير .. ليست ميدان التحرير فقط

كنت على يقين بأن التغيير قادم لا محالة، وأن الثورة ،ولو كانت مقدماتها بطيئة، إلا إنها على وشك أن تبدأ. ظننت أنها ستكون ثورة سلاحف، فأثبت لي السلاحف إنهم أسرع مما كنت أتصور، لأن هذا الجيل، وإن لم يكن كله مثقف، فهو جيل على قدر كبير من الوعي، ويعرف جيدا ماذا يريد، رغم كل محاولات التهميش من النظام المتسلط الذي كان على استعداد أن يقتل شعبا بأكمله ليعيش هو !

ثورة ٢٥ يناير هي ثورة "شعبية" سلمية بامتياز، صنعها شعب و لم يصنعها الشباب وحدهم. كانت مكانتها، ومازالت، في قلوب كل المصريين، ومكانها في كل ميادين مصر. ميدان التحرير ليس سوى مكان واحد من أماكن عدة شكّلت جغرافية الثورة، فكل مكان على أرض مصر كان جزءً من الثورة.

وكل شخص كان في ميدان التحرير ليس هو وحده من صنع الثورة، ولكن الثورة صنعها وشارك بها كل من خرج ليهتف بالحرية، ويواجه الظلم والاستبداد في كل شوارع مصر. هؤلاء الذين وقفوا يحمون بيوتهم من أعمال البلطجة والمخربين، هؤلاء الذين واجهوا الفوضى التي حاول النظام إحداثها

وتصديرها، فتشكلت لجانا شعبية كانت أرقى ما أفرزته الثورة، وأكثر ما أكدته على روعة الشخصية المصرية.

اختزال ثورة ٢٥ يناير في ميدان التحرير هو أمر خاطئ، وشخصنة من قاموا بالثورة في هؤلاء الذين كانوا في ميدان التحرير فقط هو أيضا أمر خاطئ.

ثورة ٢٥ يناير صنعها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، رجال كنا نسمع أصواتهم ونحن في ميدان التحرير من كل مكان في مصر، كنا نراهم ببصيرتنا في الإسكندرية، ونسمعهم في السويس وفي كل محافظات مصر، وكانت مصر بأكملها عينها على تلك المدينة الفاضلة الموجودة في ميدان التحرير.

نجحت ثورتنا المصرية السلمية الشعبية عندما نجحنا في ثورتنا على أنفسنا، عندما هدمنا صنم الخوف، وكسرنا كل حواجز السلبية. عندما أقبلنا على الموت في سبيل الحرية، فأقبلت علينا الحرية في ثوب الحياة.. الحياة التي نستحقها، والحرية التي طالما انتظرناها.

٢٥ يناير .. الثورة فن التغيير

الثورة فن التغيير، والفن يحمل في طياته الذوق العام. الاختلاف وارد، والخلاف طالما على حب الوطن مقبول، وعلينا أن نكمل ثورتنا التي بدأناها. الثورة كالحب، علاقة بين طرفين،تحتاج إلى أن نفكر بعقولنا، ونستدعي مشاعرنا من مخزون قلوبنا.

الثورة كانت لتصبح حركة ثورية غير مكتملة، طالما ظل مبارك في الحكم. وكانت على وشك أن تصبح ثورة كاملة بانتهاء مدته الدستورية، ولكنها تحولت إلى ثورة كاملة عندما أعلن سليمان تنحي الرئيس على استحياء، وكان المشهد غاية في الروعة، خاصة بوجود "الراجل اللي ورا عمر سليمان" ...

خرج عمر سليمان في مشهد تابعه الجميع بشغف ولهفة، كأننا ننتظر الخلاص، بل وكأنها لحظة الميلاد. كانت كلماته موجزة " أيها المواطنون .. في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، قرّر الرئيس محمد حسني مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإدارة شئون البلاد .. والله الموفق والمستعان".

كانت كلمات موجزة لم تتجاوز دقيقة، لكنها تسطر تاريخا جديدا في حياة مصر. كلمات تسطر قيمة شعب يصنع تاريخ

المستقبل، ويؤكد على جدارته. دقيقة في تاريخ مصر صنعتها سنوات من فساد ونهب وظلم النظام، صنعتها انتخابات مزورة بفُجر داعر، وحواديت عن التعذيب الذي مارسه النظام ضد أبناء الوطن، حواديت تقشعر لها الأبدان، ويشيب لها الولدان !

دقيقة من تاريخ مصر صنعها كفاح طويل ومرير من المصريين في معركتهم من أجل الحياة الكريمة والأحلام المشروعة، هي معركة بامتياز من أجل استعادة الإنسان المصري.

مشهد في ثوانٍ معدودة كان كفيلا بأن يكون الأهم في تاريخ مصر الحديث، ربما أهم من تلك اللحظة التي ودّع فيها الملك فاروق مصر بعد ثورة ١٩٥٢، وربما أهم من تلك اللحظة التي عبرنا فيها خط بارليف، وحققنا انتصار أكتوبر ١٩٧٣.

فثورة ٥٢ بدأت بانقلاب عسكري، تبعه تأييد شعبي. بينما ثورة ٢٥ يناير بدأت بثورة شعبية، تبعه تأييد عسكري. ثورة ٥٢ رغم أنها أنهت الملكية، ونقلت مصر إلى الجمهورية، إلا أن الظروف حالت دون أن تحقق أي من مبادئها سوى القليل. بينما سيدافع الشعب المصري بأكمله عن حقوقه المشروعة التي ضحى من أجلها في ثورة ٢٥ يناير.

وربما تأتي ثورة ٢٥ يناير باعتبارها حدث تاريخي أهم من عبور خط بارليف، ونصر أكتوبر العظيم. ربما لأننا - وبعد مرور ما يقرب من أربعة عقود على نصر أكتوبر ١٩٧٣- استمرت معاناة الإنسان المصري، بل و زادت، وزاد الفساد وانتشر في البر والبحر، ونجح النظام في صناعة اليأس، واستيراد الوهم، وتصدير الأفكار المغلوطة، وليؤكد أن قيمة الحدث ليست فقط في روعة صياغته وصناعته، ولكن أيضا في قيمة نتائجه، وتأثيره على المدى القصير والطويل.

٢٥ يناير .. مشاهد للتاريخ

كان ميدان التحرير يشبه ساحة الحروب. فهنا تجد خيم منتشرة على الأرصفة مليئة بالأطباء والجرحى، تسمع آناهم وصرخاهم وأحيانا ضحكاهم. وهناك تجد الهتافات تعلو مُرددة بالنصر، ومُنددة بالطغاة والأعداء. الدبابات تحاصر الميدان، والطائرات العسكرية تحلق فوقنا، ونسمع أصواها بوضوح.

كانت حرب، معركة من أجل الحياة الكريمة، أصوات القنابل المسيلة للدموع، ورائحتها، صوت طلقات الرصاص، والهتافات الكثيرة تتداخل مع بعضها، فتخرج كأها لحن واحد، أنشودة واحدة، كانت قلوبنا هتز مع كل هتاف، وكان الميدان يهتز معنا، فترتجف قلوب الطغاة.

كانت من أهم المشاهد الحاضرة في ذهني، هو ذلك المشهد الرائع الذي عبّر عن وعي الإنسان المصري، عندما جرى بعض الشباب في تنظيم غير متفق عليه، من أجل حماية المتحف المصري، حيث حاول بعض البلطجية سرقته في ظل غياب الشرطة، وقلة أعداد الجيش آنذاك في الميدان.

صنع الشباب من أجسادهم دروعا بشرية من أجل حماية المتحف المصري، من أجل حماية التاريخ، تاريخ المستقبل، وبدت الصورة حضارية ومشرقة ورائعة. كنّا نقف في شموخ، والدمعات تقاوم الفرار، دمعات الفرح، إحساس بالفخر وبالكرامة غُيب عنّا أزمان عدة.

كانت كل مظاهرة تمر علينا، يحاول فرد فرد فيها أن يقبّلنا، ويشد على أيدينا، ويهتف بنا، يهتف معنا، نهتف معهم، تصبح المظاهرة المارة علينا جزءً منا، ونصبح جزءً منهم. وهكذا تمر المظاهرات، ونحن واقفون في عِزة، نعلم أن المسافات قريبة للموت، فنتمنى أن تصبح المسافات أقرب وأقرب، نتمنى الشهادة التي طالما حلمنا بها.

جاء أحد ضباط الجيش، ليقول لنا، ويقاوم هو الآخر فرار دمعاته العزيزات على قلوبنا، إنّا فخورين بكم، أنتم رجال مصر، أنتم المستقبل، أنا فخور أنني صادفت وجوهكم الجميلة، لن أنساها، وسأحكي لأولادي عنكم. كنا نقف في دائرة بشرية حول المتحف، ولا نعرف كيف نرد، ماذا نقول؟ .. إنه الواجب .. إنها اللحظة التي كثيرا ما انتظرناها، إما الحرية وإما الشهادة.

من أحد المشاهد الجميلة، هي تلك اللحظة التي انضم فيها أحد ضباط الجيش إلى المتظاهرين. وفي تلك الأثناء لم يكن موقف الجيش تحدد بعد، ومشاركة الضابط باختلاف الأزمان حتى، تعني محاكمة عسكرية دون هوادة.

انضم أحد الضباط، فحملناه على الأعناق. ألهب حماس الميدان بأكمله، أصبح في دقائق معدودات هو قِبلة ينظر إليها كل من في الميدان. يردد بأعلى صوته "الجيش والشعب إيد

واحدة"، فيرد الميدان بالكامل في صوت واحد كما يقول هو "الجيش والشعب إيد واحدة". كانت هذه المرة من المرات القلائل التي يتوحد فيها الهتاف في ميدان التحرير، أو يكاد يتوحد، كنا نهتف ونبكي ونفرح، نتسابق فيمن يحمله، من يتشرف بتلك اللحظة الجميلة، كنت أشعر وأنا أحمله بأننا لا نمشي على الأرض، وكأننا نطير، نرفرف في سماء الحرية.

أرى في العيون سعادة لم أعهدها من قَبل، وأُلفة قلما تُزرع في القلوب هكذا، شعرت وقتها بالتحديد أن كل من في الميدان هم أناس قد رأيتهم قبل ذلك، هي وجوه لم تكن أبدا غريبة عني، كنا كما الأمواج تتسابق، والشاطيء بات قريبا، نلمحه من بعيد ..

كذلك من المشاهد الرائعة، هي مشاهد تكررت كثيرا في ميدان التحرير، عندما يُرفع الآذان، تجد كل من في الميدان في صمت تام، وما أن ينتهي الآذان، حتى تجد الإخوة المسيحيون يخرجون بكل سلاسة ليشكلوا حزاما أمنيا حول المصلين. وفجأة يتحول ميدان التحرير إلى صفوف ضخمة تصلي، ويحوطها أعداد كبيرة من الإخوة المسيحين كي يحموهم وقت الصلاة، إذا ما حدث أي هجوم للبلطجية.

وتكرر المشهد عندما تم إقامة قداس في ميدان التحرير، وحمى المسلمون المسيحيين وقت صلاتهم. وكان الأمر ليس مستغربا، وكأنه أمر عادي، نحمي إخواننا، حيث إننا عندما كنا نهتف، كنا نهتف للحرية معا، وعندما كان الرصاص يحاول اختراق أجسادنا لم يكن ليميز أبداً بين مسلم ومسيحي. هكذا كان رصاص المستعمر في ثورة ١٩١٩ التي كثيرا ما استدعيناها في ميدان التحرير، وأيضا هكذا رصاص الطغاة في ثورة ٢٥ يناير.

من المشاهد الجميلة أيضاً، إن كل مجموعة كانت تجلس لترتاح قليلا من الهتاف، كانت تغني وتصفق ويعلو صوتها، كانت من أجمل الأصوات التي سمعتها، طفلة صغيرة لم تتجاوز سبع سنوات، تغني أغاني الشيخ أمام ومن كلمات عمنا أحمد فؤاد نجم.

تغني ببراءة، فتغني قلوبنا معها، تبتسم، فتستبم مصر كلها، وبجانبنا يجلس مجموعة من الإخوة الذين لا يحبون الغناء، فينظرون في صمت وإعجاب للأغنية ولصوت الفتاة، ونحن ننظر لهم بحب، كانت اختلافاتنا وقتها لا تظهر، بل تتوارى خلف الحقيقة المطلقة التي نعيشها في ميدان التحرير، حقيقة أن مصر فوق الجميع.

كنت وأنت تسير في ميدان التحرير، تقابل عددا كبيرا من الفنانين والمطربين، هم نجوم خارج الميدان، أما في الميدان لا تشعر بوجودهم لأن كل من في الميدان هم نجوم، تنظر لأحدهم وهو على يقين أنك تعرفه، وينظر لك وأنت على يقين أنه يعرفك، في الميدان كنا كلنا نجوم، هنا المشاهد الحقيقية التي نشارك في صناعتها، لقطات مخرجها الزمان، ويسير الجميع من أجل وضع الحبكة الدرامية، ومن أجل وضع النهاية.

كان مشهد النهاية، بعد تنحي الرئيس مبارك، يوم ١١ فبراير.. كنت أشعر وقتها أن ٨٥ مليون مصري في ميدان التحرير، كان المكان كقيمة ربما يحتمل أعدادا أكبر.. كنت ترى السعادة في كل الوجوه لأول مرة، الكل يفرح ويغني ويرقص، كنت تحضن أناس لا تعرفهم، وتقبلهم، وترقص معهم...

وظل المشهد الأروع هو المشهد الذي قام فيه الشباب بتنظيف الميدان، وإزالة كل الخيم والقمامة، ودهن الجدران وتجميلها، كان مشهدا عالميا، ظل هو أكثر المشاهد التي أشعرتني بالفخر بمصريتي.

ميدان التحرير، كان به مشاهد كثيرة، ربما هذه هي أهمها، وهي التي أعانتني الذاكرة أن أسردها، هي مشاهد كلها تؤكد على تاريخية اللحظة التي عشناها، حيث مصر الملهمة للعالم أجمع.

٢٥ يناير .. عالمية الثورة

رغم أن الثورة التونسية سبقت الثورة المصرية، وكانت شرارة لسلسة من الثورات العربية الأخرى، إلا أن الاهتمام العالمي بالثورة المصرية كان الأكبر، حيث صدّرت مصر نفسها باعتبارها ملهمة للعالم، وانحنت كل شعوب العالم احتراما للشعب المصري، الذي صنع واحدة من أعظم الثورات في التاريخ.

كانت الكرة الأرضية تتابع التاريخ الذي يسطره المصريون، وكأن الشعب المصري كان في طريقه لإزاحة نظام ديكتاتوري قابع على نفوس كل شعوب العالم. وكأن شعوب العالم كانت متعطشة لتلك الفرحة المدوية التي صنعها شعب في مواجهة الطغاة.

في أيام معدودات تحول ميدان التحرير إلى قبلة للعالم أجمع يحجّون إليه بأعينهم، ويطربون لسماع أخبار من هنا وهناك في لهفة غير عادية، وبدا المشهد الأكثر شهرة في تاريخ مصر الحديث، وربما أشهر من مشهد عمر سليمان لحظة إعلانه تخلي الرئيس مبارك عن منصبه، هو ذلك المشهد الذي صورته قناة سي إن إن الأمريكية، للشعب المصري وهو ينظف ميدان التحرير بعد أن انتهى من ثورته، إيذاناً ببداية ثورة جديدة هي

ثورة على السلوكيات، ورسالة للعالم أجمع بأن شعبا يمتلك تاريخا مشرفا وحضارة عظيمة، هو شعب قادر على أن يصنع تاريخا وحضارة أكثر إشراقا وعظمة.

فأعلنها مراسل سي إن إن بصوت عالٍ وفي خلفيته بعض من المصريين ينظفون الشوارع ويجمّلون الأرصفة، ويحملون القمامة عن الطرق، أعلن أنه: " لأول مرة نرى شعبا يقوم بثورة، ثم ينظف الشوارع بعدها "، ليؤكد بعدها المفكر الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي " لم أر في حياتي ثورة أكثر إبداعا مما فعله المصريين".

نعم كانت الثورة، عملا فنيا في غاية الإبداع. رسم المصريون بثورة ٢٥ يناير لوحة في غاية الروعة، رسمتها الشخصية المصرية بأصالتها وعظمتها، فانبهر العالم واعترف بأنها حقا "أم الدنيا" مصر. ولأنها كانت ثورة أخلاقية بامتياز، فأعلنت صحيفة الجارديان البريطانية أن " الثورة أعادت الشعب المصري في الصميم الأخلاقي لهذا العالم" بينما صحيفة ديلي تليجراف البريطانية أكدت أن: "قوة الشعب تصنع التاريخ في مصر" .

وليؤكد شباب ثورة ٢٥ يناير، شباب مصر الأوفياء، أنهم الأعظم والأجمل والأروع في العالم، خرج الرئيس الأمريكي باراك أوباما ليقول: " إننا يـــجب أن نربي أبـــناءنا ليصبحوا

كشباب مصر"، وتأكيدا على أن مصر من عادتها صناعة التاريخ يقول سيلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا: " لا جديد في مصر.. فقد صنع المصريون التاريخ كالعادة" .

ولأن ثورة ٢٥ يناير، جعلت العالم كله يتكلم بلغة مصرية خالصة، ويتمنى العالم أن يصبحوا مصريين، صرّح ستولتنبرج رئيس وزراء النرويج : "اليوم كلنا مصريين"، ولأن المصريين في هذه اللحظة المتفردة هم أعظم شعوب الأرض، فهم يستحقون الأجمل، يستحقون ما يليق بهم، فأعلنها هاينز فيشر رئيس النمسا بأن: "شعب مصر أعظم شعوب الأرض، و يستحق جائزة نوبل للسلام".

ولأن صناعة تاريخ المستقبل هي من الصناعات الثقيلة، التي برع فيها المصريون، فكان العالم متعطش لتصدير مثل هذه الصناعة، وضرورة تعليم الأطفال والشباب كيفية صناعة التاريخ بمهارة، فخرج رئيس وزراء بريطانيا يقول بأنه " يجب أن نضع في الاعتبار تدريس الثورة المصرية في المدارس".

وكما أبهرت ثورة ٢٥ يناير معظم قادة ورؤساء العالم، كانت الشعوب هي الأكثر تأثراً ، حيث خرجت في أمريكا مثلاً ، مظاهرات حاشدة ضد حاكم ولاية ويسكنسن الأمريكية، حيث تم رفع شعارات تستلهم الثورة المصرية، ومن هذه اللافتات، لافتة تقول: سيروا كما يسير المصري"، وأخرى ترفع شعار: "القاهرة في ١٨ يوم فماذا عن ويسكنسن؟!".

وبالتالي بدا النموذج المصري الراقي في المطالبة بالحقوق والحريات، النموذج الأكثر تصديرا لدول العالم في وقت قياسي، وقيمة التأثير أنه وصل إلى الديمقراطيات الغربية.

ففي بريطانيا أيضاً ، استلهم البريطانيون الثورة المصرية في الدعوات لمظاهرات لندن المناهضة للتقشف، وطالب طلاب ناشطون الناس باحتلال ميدان ترفلجر الشهير بوسط لندن، وتحويل الميدان إلى ميدان تحرير، في إشارة إلى نقطة التجمع الأشهر في مصر خلال الثورة.

وظهر تأثير الثورة المصرية واضحا في العديد من الصور واللافتات التي حملها البريطانيون في حملة التقشف، حيث تظهر إحدى الصور متظاهر يحمل لافتة بها صورتين لميدان التحرير وميدان ترفلجر، ومكتوب عليها ميدان ترفلجر يحيّ ميدان التحرير .. فيما أوضحت صورة أخرى مجموعة من المتظاهرين يحملون لافتة كتب عليها "الشعب يريد إسقاط النظام" بالعربية وبجوارها "اضربوا مثل المصريين"، وارتدى بعض المتظاهرين قمصان مكتوب عليها "امشِ كمصري، وتظاهر كمصري، وناضل كمصري".

قمة الفخر وأنت تشاهد أقدم دولة ديمقراطية في التاريخ الحديث، يمارس شعبها التظاهر بالنمط المصري، والحالة المصرية التي تجلت عظمتها في ميدان التحرير.

عالمية ثورة ٢٥ يناير تتبدى من مصرية التجربة، وإننا استدعينا أجمل ما فينا فانبهر العالم، ثورة ٢٥ يناير خلقت لمصر نوعا من القوى الناعمة كنا في أمسّ الحاجة إليها، تلك القوى القادرة على خلق مناخ صحي لكي تتحرك مصر في مجالها الإقليمي والدولي، وتعود مرة أخرى كي تلعب أدوارها المعهودة باعتبارها واحدة من أعظم دول العالم.

٢٥ يناير .. ضحكة مصر

حملت ثورة ٢٥ يناير ضحكة مصر الحزينة إلى غياهب ظلمات الماضي، واستحضرت ضحكة يهز صوتها قلوب العاشقين لهذا الوطن، فيهتفون للحرية، ويتهافتون من أجل الشهادة. ضحكة أضاءت ركنا جديدا ومميزا في لوحة الانبهار بقيمة الثورة.

بدت السعادة في عيون المصريين، بعد أن عُمّيت عليهم، وكان الصوت الأقوى في ميدان التحرير والهتاف الأروع: "أبكي .. أنزف .. أموت .. وتعيشي يا ضحكة مصر .. وتعيشي يا ضحكة مصر".

المصري "ابن نكتة" وربما هذا ما يميز الشخصية المصرية، وتجلى ذلك بوضوح أثناء الثورة، سواء من خلال الشعارات، أو التعليقات الساخرة، والنكات، أو الأغاني التي أحيت ليالي ميدان التحرير.

والشخصية المصرية بطبيعتها تمتلك قدرا كبيرا من الذكاء. وربما أهم موقف كان يدل على مدى ذكاء الشخصية المصرية، وبالتحديد بعد نزول الجيش إلى ميدان التحرير مباشرة، حيث كان هناك توجس من موقف الجيش قبل تنحي الرئيس.

فكان ميدان التحرير خلايا نمل تمشي، وتهتف بسقوط النظام، فتخرج هتافاتهم مدوية "الشعب يريد ..إسقاط النظام"، وهكذا يرددون "الشعب يريد .. إسقاط النظام"، حتى إذا اقتربوا من إحدى دبابات الجيش، تجد الهتاف تغير تلقائيا إلى "الجيش والشعب .. إيد واحدة". يهتفون بحرارة، ويكررونها مرات عديدة وهم يبتسمون في وجوه الجنود المصريين: "الجيش والشعب .. إيد واحدة"، وبمجرد أن يعبروا من دبابات الجيش، يعود هتافهم تلقائيا إلى "الشعب يريد .. إسقاط النظام" و "ارحل .. ارحل .. ارحل".

كانت الشخصية المصرية الضاحكة هي أهم ما طغى على مشهد ميدان التحرير، وكان من أهم ما لفت انتباه كثير من المحللين والسياسيين العرب والغربيين، شعب يصنع ثورة بابتسامة، حتى تحول ميدان التحرير إلى عيد ولكنه كان العيد الصغير، في انتظار الاحتفال بعيد تحرير مصر بتنحي الرئيس، العيد الكبير....

ظهرت تلك الشخصية الساخرة في كثير من اللافتات والشعارات التي رددها الثوار في ميدان التحرير، فتجد هناك من يرفع لافتة مكتوب عليها: " ارجع يا ريس .. كنا بنهزر معاك .. إحنا الكاميرا الخفية"، وآخر يرفع لافتة وهو يبتسم ويغمز للمارين عليه: " ارحل .. مراتي وحشتني .. متزوج بقالي ٢٠ يوم".

وآخر يعبِّر عن مدى تمسك الرئيس بالسلطة، وعدم تفريطه في الحكم، ولو حتى على حساب دماء شعب بالكامل، فرفع لافتة مكتوب عليها: "ده لو كان عفريت .. كان انصرف" ، وآخر يشاركه الفكرة، يرفع لافتة مكتوب عليها: " رابطة بحاري مصر تسأل الأسطى مبارك .. مانوع الغِراء الذي تستخدمه قبل الجلوس على الكرسي".

وبعض اللافتات كانت تحمل كلمات تحاول أن تشرح معنى كلمة ارحل للرئيس، فكانت إحدى اللافتات مكتوب عليها: "ارحل .. يعني إمشي"، وأخرى تحاول أن تستدعي مصر الفرعونية في شخص فرعون مصر الأخير، فحملت اللافتة كلمة ارحل باللغة الهيروغليفية وكتب تحتها: " بالهيروغليفي يمكن تفهم يا فرعون"، وأخرى تؤكد على فرعونيته " إن كنت فرعون .. فكلنا موسى".

وبدت هذه الكلمات، التي تُسمع من كان به صمم، لا تصل إلى فهم الرئيس رغم أنه كان يسمعها جيدا، فخرجت إحدى اللافتات مكتوب عليها " يا مبارك غور غور .. خللي الشعب يشوف النور "، وأخرى تستجدي إنجليزيته مكتوب عليها ..

.."Game Over"

ولأن الرئيس كان يريد، أو بالأحرى يتمنى أن يُكمل آخر ستة شهور له في الحكم، آملاً في تهريب باقي المليارات التي سرقها إلى الخارج، وكي ينجح رجاله أيضاً في تهريب أموالهم إلى الخارج، فحاولت اللافتات عمل خطوة استباقية: " يللي كنت في يوم رئيسنا .. قبل ما تمشي هات فلوسنا"، وآخر يقف وشعره "كنيش" طويل ويرفع لافتة مكتوب عليها: " إنجز .. عشان عاوز أروح احلق".

وحملت إحدى اللافتات: " يللي فاضللك ست شهور .. خُد اجرتهم وامشي وغور"، وأخرى " الرياسة مناولة .. مش مقاولة"، ولافتة أخرى تحمل دعاء لمصر " اللهم ارفع عنا البلاء .. والغلاء .. وأبو علاء"، وآخر يرفع لافتة مكتوب عليها: " مبارك .. يتحدى الملل"، وآخر يجلس، وربما أصابه هو نفسه الملل، ويرفع لافتة مكتوب عليها: "إمشي بقى إيدي وجعتني"

وكانت هناك لافتة أكثر روعة، ولكنها هذه المرة خارج ميدان التحرير، حيث مكان لا يخطر على عقل بشر، في البحر، حيث أراد شابين التعبير عن رفضهم استمرار الرئيس وضرورة تنحيته، وتصبح لأول مرة في التاريخ أن تنتقل ثورة من البر إلى البحر، حيث أمسك الشابان وهما يتنفسان من أنبوبة أكسجين تحت الماء لافتة مكتوب عليها: " ارحل .. قبل ما الهوا يخلص".

ومن ناحية أخرى، كانت هناك الشعارات التي رددها المصريون في ميدان التحرير، وكانت تحمل قدر كبير من السخرية هي الأخرى، ومن أهم تلك الشعارات:

- الشعب يريد .. إسقاط النظام.
- الشعب يريد .. إسقاط الرئيس.
- بن على بيناديك.. فندق جدة مستنيك.
- قالو علينا شباب كنتاكى .. و احنا يا مصر روحنا فداكى.
- ارحل يعني امشي ....يمكن ما بيفهمشي.
- يا جمال قول لأبوك .... شعب مصر بيكرهوك.
- ياسليمان ياسليمان إرحل إرحل إنت كمان.
- ياسوزان قولي للبيه ... ربع قرن كفايه عليه.
- يا سوزان خافي عليه هنجبهولك من رجليه.
- يا سوزان قولي للبيه باع الشعب بكام جنيه.

وكانت هذه اللافتات والشعارات بقدر ما تعكس حالة مصرية متفردة في ميدان التحرير، يعبر عنها المصريين بسخرية لاذعة، بقدر ما عبرت عن واقع عاشه وعايشه المصريون آنذاك، تمثل في تشبث الرئيس بالسلطة، ويعكس مدى كراهية الشعب لهذا الرجل، ومدى إصرارهم على أن يكملوا المشوار الذي بدأ و لم ولن ينته أبدا ...

وأثناء الثورة، تداول الشباب على الفيس بوك "بوست" يحمل أهم أفلام جيل ثورة ٢٥ يناير، في إشارة للأفلام الشهيرة في السينما المصرية وتمت صياغتها مع المشهد المصري وقت الثورة، ومنها:

- أبى فوق الدبابة.
- الرصاصة المطاطية لاتزال فى جيبى.
- في بيتنا بلطجية.
- جاءنا الرئيس التالى.
- نحن لا نرمى المولوتوف.
- مهمة في ميدان التحرير.
- الريس عمر سليمان.
- حرامية في لندن.
- البحث عن دستور.
- ليلة القبض على عز.
- إسماعيل يس في الثورة.
- بلطجية من جهة أمنية.
- شعب فوق صفيح ساخن.
- إحنا بتوع التحرير.
- سكوت .. هنحرر.
- هي ثورة.
- نحن لا نصنع المولوتوف.
- ارحل .. الثورة تطلع حلوة.
- ثورة هزت عرش مصر.

وأثناء ثورة ٢٥ يناير، حيث يحاول المصريون إزاحة نظام حكم ديكتاتوري كان من رابع المستحيلات إزاحته، كانت "خفة دم" المصريين حاضرة أيضاً في قلب الميدان، حيث انتشرت النكات بين الثوار.

ومن هذه النكات: " إبليس شاف ٣ ملايين بيصلوا في ميدان التحرير راح مصوت وقال الله يخرب بيتك يا مبارك بقالي ٣٠ سنة أضلل فيهم وأنت بعمايلك السودا دي تخليهم يتجمعوا ويصلوا ؟ وهتف مع المتظاهرين "يسقط يسقط حسني مبارك" !.

وأخرى تؤكد على أهمية موقع "فيس بوك" في إشعال فتيل الثورة: " مبارك بعد ما مات قابل السادات وعبد الناصر، سألوه: هاه؟ سم ولا منصة؟ رد عليهم بحرقة وقال: فيسبوك"!.

وكانت النكتة الأطول التي عبرت عن الحالة المصرية قبل ثورة ٢٥ يناير من وجهات نظر عديدة، وتلك الخاصة بالتعليق على ظاهرة إحراق عدد من المصريين أنفسهم كأسلوب احتجاج على أوضاع مصر آنذاك.

فجاء تعليق أحمد عز على ذلك: حل مشكلة حرق الناس لأنفسهم زيادة أسعار البترين، أما بطرس غالي: فرض ضرائب جديدة على أسرة كل شخص يحرق نفسه بالبترين، في حين جاء التعليق الساخر على وزير البيئة: حرق المواطنين لأنفسهم هو سبب السحابة السوداء.

أما وزيرة العمل فصرّحت بأن: حرق المواطنين لأنفسهم يوفر فرصة عمل جديدة للشباب ليعملوا كرجال إطفاء، وجاء تعليق نطيف:الشعب لا يعرف مصلحته والدليل سوء استخدامه للمنتجات البترولية، أما صفوت الشريف: مصر أكبر من كل عمليات الابتزاز السياسي ، ومشعلوا النيران عديمو المسئولية.

في حين جاء تعليق الإعلام الرسمي في رد تامر أمين بأن : حرق المصريين لأنفسهم بسبب التقليد الأعمى، ورأى شيخ الأزهر: من يحرق نفسه آثم شرعا ، ولا يجوز إطفائه على سبيل التأديب، أما وزير داخلية النظام البائد حبيب العادلي : لا يجوز لأكثر من ثلاثة مواطنين حرق أنفسهم في الأماكن العامة.

وكان للدكتور فتحي سرور رأيه المعتاد: على الموافقين على إصدار قانون لتجريم حرق المواطنين لأنفسهم رفع يده .. موافقة، وكتبت جريدة الأهرام في صدر صفحتها: إضراب رجال المطافيء و مطالبتهم بزيادة أجورهم ويشتكون من كثرة الحرائق المطلوب منهم إطفائها.

وعلى المستوي الدولي، صرّحت هيلاري كلينتون : الولايات المتحدة الأمريكية تطالب بحماية المواطنين من إحراق أنفسهم وتدعو النظام المصري لاتخاذ إجراءات تقلل من الغضب الشعبي.

وجاء رد وزير الخارجية "الشجاع" أحمد أبو الغيط : إحراق المواطنين لأنفسهم شأن داخلي ، وكل مواطن مصري حر في

إشعال النيران بنفسه، فرد عليه الرئيس الأمريكي باراك أوباما بأن : أمريكا ترغب في وضع قواتها العسكرية في مصر لحماية الأجانب والأقليات من دخان الحرائق التي يشعلها المصريون في أنفسهم.

وجاء تعليق حركة حماس بأن : ما يحدث للمصريين من إحراق أنفسهم بسبب شعورهم بالذنب لمشاركتهم في حصار غزة، مما حدا برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو إلى التصريح بأنه: لن نعود لمائدة المفاوضات قبل أن يتوقف المصريون عن حرق أنفسهم، وأن حرق المصريين لأنفسهم يهدد سلام وأمن الشرق الأوسط.

كل هذه النكات والتعليقات الساخرة رغم أنها تعبر عن عادة الحالة المصرية الضاحكة الباسمة الساخرة، إلا أنها كانت تعكس حالة من مناخ داخلي ومناخ خارجي كانت تعيش فيه مصر في ظل حكم الرئيس مبارك، وعبرت عن مدى سخط الشعب على النظام، ومدى رفض سياساته الداخلية التي أثرت سلباً على المواطن المصري، وسياساته الخارجية التي أثرت سلبا ًعلى قيمة الوطن، وقيمة مصر، حيث انكفأت مصر داخل حدودها، وتركت أفريقيا والسودان لإسرائيل تعبث بأمننا القومي.

وظلت هي تحتكر القضية الفلسطينية، وتريدها كالمرأة التي هجرها زوجها، لا هو يريدها أن تعود لبيته، ولا هو يرضى بتطليقها. فتوهمت مصر الدور، وتقزمت مصر التي كان صوت ناصر يصل بها إلى كل أرجاء المعمورة، وتشتت العرب أكثر، وتجرأت الدويلات عليها، وتكالبت الدول !

ورغم كل الآم الوطن وأوجاعه، ثار المصريون وهم يبتسمون، لأنهم ربما كانوا يرون المستقبل أكثر إشراقاً ،بل كانوا على يقين، وربما لأنهم ، وهم يسطرون تاريخاً جديداً ، أرادوا أن يبدءوه بابتسامة أمل، كي يكملوا طريق الألف ميل...

٢٥ يناير .. وربيع الثورات العربية

كانت الثورة التونسية محفزة للثورة المصرية، وربما دونها لتأخرت ثورتنا المصرية. وجاءت الثورة المصرية لتكون ملهمة لكل العرب، لهؤلاء الذين ثاروا أو هؤلاء الذين ينتظرون فرصة أفضل كي ينتفضوا من أجل الحرية والكرامة.

ربيع الثورات العربية كان بمثابة خريف لعقود من الزيف والاستبداد، بدأها البوعزيزي، وأكملها المصريون، وحاول باقي العرب أن يلحقوا بهما.

بقدر ما كانت الثورة المصرية ملهمة للثورات العربية، بقدر ما ظلمتها أيضا، ويتجلى ذلك واضحاً في الاهتمام الإعلامي الكبير بمصر، وحجز مساحة إعلامية ضخمة، أثرت سلبا على إعطاء الثورات العربية الأخرى نفس هذا الزخم الإعلامي.

بدأ قطار الثورات العربية في تونس، فأخذت مصر بكابينة القيادة، وما لبثت أن وصلت إلى محطتها، وتكاد تصل إلى هدفها، حتى اشتعلت الثورة في اليمن وفي ليبيا وأيضا في البحرين وسوريا.

ولكن لابد من الاعتراف أن الثورات وإن تشابهت في الهدف الأسمى، إلا أنها تختلف بحكم طبيعة الجغرافيا والتاريخ، فجغرافيا اليمن وتاريخه فرضا نظاما قبليا يختلف عن طبيعة المجتمع المصري، وكذلك ليبيا التي يحكمها ديكتاتور يمتلك من الكوميديا ما يكفي لإضحاك العالم لعشرات السنين، يضحك العالم على كلماته، ويبكي شعبه من وجع أفعاله !

والبحرين حالة خاصة جدا، بحكم أغلبيتها الشيعية، وهي مملكة يحكمها أقلية من السنة، بدت الثورة في البحرين طائفية، وتدخلت قوات الخليج والنظام البحريني ليُحكم قبضته على المملكة، فباتت الثورة حلما مازال يداعب الشعب البحريني من بعيد.

وتظل سوريا هي الدولة الأكثر بوليسية في الوطن العربي، وربما في العالم، تُحكم بقبضة حديدية، ويحاول الشعب أن يظفر بالحرية أو الشهادة.

مازالت الشعوب تحلم وهي على يقين بأن الحلم سيصبح ذات يوم حقيقة شاخصة. ومازال الحكام العرب لا يتعلمون من أخطاء أصحابهم الذين سقطوا !

فالحكام العرب تخرجوا جميعا من مدرسة واحدة، هي مدرسة الظلم والاستبداد .فساروا على نفس المنهج والنهج الذي تعلموه، منهج في كيفية التعامل مع شعوبهم، ونهج وأد كل مطالبهم بالحرية، إدارة الغباء وغباء الإدارة، حتى باتوا يحفرون لأنفسهم تلك الحفرة التي أرادوا أن يوقعوا شعوبهم فيها، حفروا لأنفسهم تلك الحفرة التي ستتلقفهم، وتصير قبرا يبدءون فيه رحلتهم مع الموت.

ربيع الثورات العربية سيظل مركزه مصر، وقلبه النابض، ستحقق مصر طموحات الشعوب العربية التي ثارت و لم تكتمل ثورها، وأحلام الشعوب العربية التي حالت الظروف دون أن تثور فبدءوها ثورة على الذات.

مصر يوم ١١ فبراير

كانت مصر تتهيأ ليوم تاريخي بامتياز، وكان الثوار يستعدون له بـــ "جُمعة الزحف"، حيث زحف الثوار إلى قصور الرئاسة سواء في القاهرة أو الإسكندرية، كان الرئيس مبارك متشبثا في السلطة لآخر نَفس فيه، لا يريد أن يتخلى عن الحكم، أو لا يريد ابنه جمال له أن يتخلى عن الحكم، لأن ذلك بمثابة تخلي عن أحلام جمال مبارك نفسه في الرئاسة.

حتى دقت الساعة السادسة مساءً، والتف المصريون حول التلفزيون في كل ميادين مصر وبيوتها، هناك أخبار عن خروج الرئيس مبارك ليعلن في خطابه الرابع والأخير تخليه عن حكم مصر، وشائعات تتردد بقوة بأن الرئيس مبارك بالفعل قد غادر البلاد مثل رفيق دربه في الديكتاتورية الرئيس التونسي بن علي.

كانت الهتافات تعلو أكثر وأكثر، والثوار يحوطون قصور الرئاسة، معلنين أن اليوم هو نهاية القصة، والحدوتة، نهاية ملحمة من أفضل أيام مصر، ملحمة تاريخية امتدت ١٨ يوما، صنع فيها المصريون التاريخ .. أفضل تاريخ .. تاريخ المستقبل.

خرج أخيراً عمر سليمان بعد طُول انتظار، ليعلن في خطاب هو الأهم والأجمل والأفضل، خرج سليمان ليعلن في كلمات مقتضبة " أيها المواطنون .. في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، قرّر الرئيس محمد حسني مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئون البلاد .. والله الموفق والمستعان".

وما لبث أن انتهى من كلماته، حتى خرج المصريون يعلنون اليوم عيد، وأيٌّ عيد، إنه عيد الحرية، تلك اللحظة التاريخية التي كثيرا ما انتظرناها ..

كان المصريون في كل بقاع الأرض يهللون ويكبرون ويحمدون الله، كانوا يغنون، ويحضنون بعضهم البعض، بدموع هي الأغلى، دموع الفرح، وكان الشهداء حاضرين معنا، يبتسمون ويتغنون بالحرية.

ذابت الفوارق الدينية والاجتماعية والسياسية بين كل المصريين، فبدوا جميعا كأنهم رجل واحد، يهتف بالحرية فيصل صدى صوته إلى كل أرجاء المعمورة، سطَر المصريون تاريخهم بأيديهم، وأكدوا أن الشعوب هي التي تصنع التاريخ، تاريخ المستقبل ..

ظلت مصر حتى الصباح ساهرةٍ، لم ينم أحد، كانت الفرحة أكبر من أن يسرق النوم جزءً منها، ولكن كانت هذه هي مجرد البداية، بداية صناعة التاريخ. أنهى المصريون هذه الملحمة، وهذه المرحلة، ليبدءوا يوماً جديداً في مرحلة ثالثة هي الأهم، لأنها هي التي ستؤكد قيمة ما حدث.

أنهى المصريون ١٨ يوما من الثورة، ليبدءوا رحلة جديدة في إثبات الذات، في معركتهم من أجل الحياة الكريمة، معركة بين واقعهم بعد الثورة والمأمول منها، متسائلين: هل ستصبح مصر بعد الثورة أفضل من مصر قبل الثورة ؟ .. لم يكن أحد يعلم .. الله أعلم.

الجزء الثالث

مصر بعد ثورة ٢٥ يناير
الواقع .. والمأمول

لماذا يجب أن نخرج لميدان التحرير مرة أخرى؟!

كان التحدي الأول لمصر ما بعد الثورة، هو وجود حكومة يرأسها أحمد شفيق، وفُتح الباب لنقاشات مجتمعية، ومجال لاختلافات وخلافات كثيرة، بين بقاء الرجل وبين ضرورة رحيله، وكنت أنا واحدا ممن ارتأوا ضرورة رحيله، وإما العودة إلى ميدان التحرير مرة أخرى.

الناس اللي بتعارض خروج الثوار مرة تانية بتقول إيه ؟؟

١- شفيق حد كويس وابن حلال !!

شفيق حد كويس وابن حلال لما ييجي يتقدم لأختي عشان يتجوزها، ويا أوافق يا أرفض، صرّح شفيق في أكثر من موقف أنه تلميذ الرئيس مبارك، وإذا كان الأستاذ فاسد فمابالكم بتلاميذه، ومتفق معاكم أن شفيق شخص هادئ وطيب وابن حلال لكن أعتقد إنه مش حيخرج يقول أنا فاسد ولا حيقول أنا باخد تعليماتى من الرئيس مبارك كل يوم وبتابع معاه خطوة بخطوة اللى بيحصل ..

الرئيس مبارك هو اللى اختار شفيق لرئاسة الوزراء، يعني ولاء شفيق للى اختاره، وكمان ناخد في الاعتبار إن شفيق لحد دلوقتي مش معترف بان اللى حصل ثورة، ولا حتى بإن الرئيس مبارك لما بيتكلم عنه رئيس سابق !!

٢- الحكومة فيها ناس محترمة جدااااا !!

محاولات تجميل الحكومة الحالية تشبه محاولات عمل نضارة جميلة لشخص أعمى .. هل ممكن يشوف ؟؟!!!، تحس فى الأسماء اللى بتترشح للوزارة إنها لمجرد تهدئة الناس، مسكنات، وهنا في خطأين، خطأ فى إن الاختيار لمجرد إرضاء الناس مش على أسس علمية، يعني مثلا اختيار شخص محبوب لوزارة معينة مش بيفهم فيها أى حاجة، لمجرد إرضاء الناس وخلاص، والخطأ التانى إن الأشخاص المحترمة توافق إنها تشارك فى عمليات التجميل اللى بتحصل للحكومة دى !

بصراحة هو غريب علينا إننا نلاقى أشخاص محترمة فى الحكومة يمكن لأننا متعودين على إن رئيسنا السابق العنيد بيجيب الوزراء اللى الناس مش عايزاهم، وعشان كده أتمنى من كل شخص محترم اترشح لوزارة معينة عشان تجميل آخر ما تبقى من النظام الفاسد إنه يرفض، ويخرج من اللعبة القذرة فورا

٣- كفاية بقى اقتصاد البلد فى النازل !

طاب عاوز حد بس يقوللى اقتصاد البلد لو فى الطالع أو فى النازل حيأثر على المواطن البسيط اللى بيتخانق على رغيف العيش، ولا دخل قناة السويس بيوصلنا عشان نزعل إنه حيقل، وده مش معناه أبدا إننا نوقع اقتصاد بلدنا، لكن ثورة غير مكتملة أخطر من عدم الثورة !

طاب بالله عليكم لما كان بيطلع وزير يقول إن النمو زاد بنسبة ٧ فى المية كنا بنموت في بعض من كتر النمو، كنا

بنسورق من الفرحة من كتر النمو، يا حبيبي يا نمو .. يا حبيبي يا نمو !

٤- ما الدستور بيتعدل وكل حاجة حتتنفذ !

الثورة تانى وتالت ورابع عشان نوصل رسايل لكل رجال النظام السابق وبلطجيته ورجال أعماله اللى خايفين يتحاكموا ومعرفوش يهربوا بره، إننا موجودين، وإن ثورتنا بدأت ولسه ما انتهتش ..

وعشان الناس اللى قاعدة فى القصر الجمهوري لسه واللى رايبحين جايين على شرم الشيخ، ومقضينها تليفونات على الخط الساخن ميضحكوش على الريس وهو فى آخر أيامه ويقولوه إن الدنيا هديت ومسيرك حترجع يا ريس ، وخصوصا إن الرئيس معاه دكتوراه فى العند، وراسه وألف سيف ليرجع تانى للحكم !

٥- عاوزين نهدى شوية عشان منديش فرصة للخارج يلعب بأمننا

طاب خليني أقولك إن وجود شخص زى أحمد أبو الغيط وزير خارجية لمصر ده بيمثل أكبر خطر على أمن مصر القومي وكل ملفاتها الخارجية، وكمان هو خطر على الداخل لأنه بيصيب الشعب بالضغط والسكر !

طاب خليني أقولكم إنى أكتر حد غايظني من كل النظام الزفت اللى مشى ده هو الراجل ده بالتحديد، ويا يمشي يا إما...

٦- الجيش ناس محترمين وهما اللى حموا الثورة

طاب خليني أقولك أن الشعب هو اللى حامى الثورة مش الجيش، والشعب هو سيد قراره فعلا، وألف شكر للجيش على اللى عمله لكنه واجب عليه مش جميلة يعني، ومن مصلحة الجيش المحترم إن الوضع يهدا وإن الناس ترتاح.

يبقى الحل الأفضل تتشكل حكومة وحدة وطنية، منبنيش حكومة محترمة على أساس غير محترم، ونفضل نقول ما كده زى الفل وتمام، وأعتقد إن الوضع مش حيهدا ولا الناس حترتاح طول ما لسه بنشوف ناس من النظام القديم .

عشان كده أنا شايف إن الثورة اللى بدأت لازم تكمل، ولازم نخرج تانى وتالت ورابع وخامس، كل مرة حنوصل رسالة كبيرة للمغيبين والفاسدين والبلطجية وحرامية البلد إننا صاحيين .. وحقنا حنجيبه كله.

اللى داق طعم الحرية مش حيفرط فيها بسهولة، واللى صنع تاريخ مش مستعد أبدا يعيش على الهامش تانى، واللى خلق الأمل في عيون مصر مستحيل يغمض لو قابله شوية تراب، واللى حس بقيمة النيل تانى يوم تنحى الرئيس مستحيل ميحبش يحسه تانى، واللى شاف مصر الجميلة وولادها بينضفوها والعالم كله فخور بيها مستحيل يرضى بأقل من " ارفع راسك فووووووووووق .. إنت مصري "

عشرة أسباب لإقالة أحمد شفيق ! !

٢٧ فبراير ٢٠١١

يبدو أن كل الأسباب السابقة لم تكن مقنعة للكثيرين، من أجل ضرورة العودة إلى ميدان التحرير مرة أخرى، وللحفاظ على مكتسبات الثورة، وكان هناك عشرة أسباب من وجهة نظري كافيين لإقالة رئيس الوزراء أحمد شفيق.

السبب الأول: لا يوجد ثورة في التاريخ تُبقي على رئيس وزراء تم تعيينه من قِبل الرئيس المخلوع، ولأن أنصاف الثورات لا تصنع أمجاد الشعوب بل تحفر قبورهم.

فرصة تاريخية: يا سيادة الفريق شفيق قدم استقالتك فورا من رئاسة الوزراء، وادخل التاريخ، لأن باستقالتك، سيتحول التاريخ الذي صنعه هذا الجيل من نصف ثورة إلى ثورة بالتمام والكمال.

السبب الثاني: وجود شفيق على رأس السلطة التنفيذية بعد المجلس الأعلى للقوات المسلحة، يخلق المخاوف لدى الكثيرين بأن الرئيس مبارك مازال يحكم من شرم الشيخ، ويظل شبح الثورة المضادة قابع على صدورنا رغم استحالة تحققه، وتظل عمليات تجميل الحكومة، إما بنفخ شفايفها، وتعيين نائب رئيس وزراء شخصية تحظى بقبول كبير، مثل دكتور يحيي

الجمل، أو بنفخ صدورها بتعيين بعض أسماء أخرى تحظى بقبول شعبي، هو أمر في غاية الخطورة.

رسالة مسجلة: يا سيادة الفريق شفيق كفاية نفخ بقى

السبب الثالث: حكومة تسيير الأعمال هي حكومة سياسيا " حكومة مشّي حالك"، ومقامك يا سيادة الفريق أكبر من أن تكون على رأس حكومة "مشّى حالك"، وبالتالي مشّي حالك أنت من الحكومة سريعاً مخيراً أفضل من أن "تمشّي حالك" مجبراً .

السبب الرابع: قد يكون سبب شخصي، ولكن وجود رجل يُدعى أحمد أبو الغيط في هذه الحكومة، وهو رجل لا يصلح حتى ليكون مدرس ألعاب، هو إساءة لمصر ولأهلها، فالرجل في بداية الثورة أساء لكل شباب الثورة ووصفهم بالمندسين، ورفع شعار كنتاكي فوق الجميع، وبدا بعد نجاح الثورة رجل في غاية الطيبة والرقة ويتحدث كأنه من دعاة الثورة.

وكذلك وجود وزير داخلية اختاره الرئيس، يتحدث بمصطلحات العادلي، ووجود عناصر أجنبية في التحرير، وانكشاف حقيقته بأنه كان من أساطين التعذيب منذ عقد من الزمن، هو أمر بلا شك يسئ لطيبة قلب حضرتك. أما وزير العدل فهو رجل أشرف على تزوير انتخابات ٢٠٠٥، فكُوفئ بتعيينه وزيرا للعدل.

وبالتالي حكومة وزير خارجيتها "منافق" ، ووزير داخليتها "بلطجى"، ووزير عدلها "فاسد" هي حكومة لا تشرفك يا سيادة الفريق

إعلان: ابحث مع الشرطة ...

السبب الخامس: لا يعترف سيادة الفريق أن ما حدث في ٢٥ يناير وما بعدها ثورة، ومازال يرى أنها زوبعة فنجان، وأعتقد أنه يتصور بأن مبارك في رحلة استجمام في شرم الشيخ، وبالتالى ننصح سيادتك بدلا من الاتصال يوميا بالرئيس أن تذهب وتقيم معه في شرم الشيخ، وبالتالي أنا شايف سيادة الفريق جزء من المشكلة مش جزء من الحل.

رسالة مسجلة:" لو الناس فضلت قاعدة فى التحرير حنبعتلهم بونبوني" ، والله كلمة بونبوني طالعة من بؤك زى العسل يا أبو الشفاشيق !!

السبب السادس: الشعب المصري يعانى من عقدة "الطيّار"، لأن الرئيس مبارك كرّهنا في كل الطيارين، وفي كلام إنه مش صاحب أول ضربة جوية، وبالتالي بما إن حضرتك طيّار فملعب حضرتك في السما، وحضرتك فريق أد الدنيا يعني تشيل ملعب السما لوحدك، حضرتك لسه في السما، والشعب كله على الأرض .. في ميدان التحرير.

أغنية: طار الهوا شاشي .. وإنت متدراشي .. يا جدع

السبب السابع: تم إلغاء وزارة الإعلام، وهو أمر في غاية الروعة، ولكن أصريت حضرتك على لعب دور أمن الدولة إما بقطع برنامج واحد من الناس على قناة دريم أثناء الإعادة، أو بالحديث عن فرض حضرتك على برنامج مصر النهاردة، ثم زدت الطين بلة وصرّحت بـأن الإعلامي محمود سعد ترك البرنامج عشان مش حياخد تسعة مليون وحياخد أقل من كده، وبالتالي فكرتني بتصريحات أنس الفقي وزير إعلام الرئيس السابق.

ملحوظة: أنا مصدّق محمود سعد ومش مصدقك .. حقي

السبب الثامن: فى عدد كبير من شهداء ثورة ٢٥ يناير" اللى الفنان حماده هلال اكتشفلنا إنهم ماتوا في أحداث يناير"، وحضرتك لم تعتذر لأنهم استشهدوا فى عهدك، وكل كلماتك كانت منحصرة في إن التحقيقات حتشتغل عشان توصل للجناة، ولحد دلوقتي العادلي بيتحاكم في تهم جنائية، و لم توجه له أى تهم قتل ضد الشعب المصري.

وأخشى إن حضرتك يكون لك دور في ده، لأن العادلى لو اتحاكم فى تهم قتل يومي ٢٥ يناير و ٢٨ يناير حيكون الرئيس مبارك محل اتهام، والرئيس مبارك أستاذك، وبالتالي بحترم فيك احترامك لأستاذك.

بيت شِعر: قُم للمعلم وفه التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا.

السبب التاسع: حضرتك صرّحت قبل خلع مبارك –ربنا يشفيه – بإن بقاء الرئيس مبارك أمان لمصر، وبعد تصريح حضرتك مباشرة تم خلع الرئيس لأن خلعه أمان لمصر، دلوقتي معظم شباب ثورة ٢٥ يناير إن لم يكن كلهم شايفين إن بقاء حضرتك مش أمان لمصر، لأن أمان مصر في اللى يختاره شعب مصر، مش اللى اختاره رئيس مصر المخلوع.

شرعية حضرتك كانت مستمدة من الرئيس مبارك، وشرعية مبارك انتهت بتخليه عن السلطة، وبالتالي مصدر شرعية حضرتك بح كان فيه وخُلص، ولو حضرتك شايف إنها مستمدة من الجيش، فالشعب اللى بيمنح الشرعية للجيش ولحضرتك،وضرورى تعرف إن الجيش عمل إنقلاب على الرئيس مبارك "أستاذك" .

مقولة: قد يشك الناس فيما تقول ولكنهم سوف يؤمنون بما تفعل "لويس كايس"

السبب العاشر: اختلاف الشعب المصري على وجودك في حد ذاته سبب كافي إنك تمشي، لأن دايرة الاختلاف كبيرة جدا، وقد ينتج عنها خلاف يؤثر على قيمة الثورة.

على الهامش:

لا يا ولدي

لابد أن نعلو فوق المأساة

تتجاوزها .. لكن لا تنساها

يوما سنعيد بناء مدينتنا الحلوة

قاهرة الأيام .. والحب الأول

*صلاح عبد الصبور في (ليلى والمجنون)

متلازمة ستوكهولم: ثورة ٢٥ يناير ! !

٥ مارس ٢٠١١

في عام ١٩٧٣ قام مجموعة من اللصوص في السويد بمحاولة السطو على بنك كريديتبانكين، وقام اللصوص باحتجاز موظفي البنك رهائن لمدة ستة أيام. ارتبط الرهائن عاطفيا بالجناة، حتى تم إطلاق سراحهم، فحاول الرهائن بكل قوتهم أن يدافعوا عن اللصوص كي يتم إطلاق سراحهم. وتم تسمية الحالة التي يعاني منها الرهائن بمتلازمة ستوكهولم، وتعني أن يتعاطف المجني عليه مع الجاني لسبب أو آخر، ولا يكتفي بالتعاطف فقط بل يتمادى بالأمر أن يدافع عن الجاني، ويحاول أن ينقذه مما تورط فيه، وسُميت ستوكهولم نسبة إلى المدينة التي حدثت بها أحداث ١٩٧٣.

في نفس هذا العام، نجحت القوات المصرية في تحقيق انتصار تاريخي على إسرائيل، وتم شخصنة هذا الانتصار في شخص الرئيس السابق لمصر، باعتباره صاحب أول ضربة جوية، فنجح فى كسب تعاطف الكثيرين، لأنه احتجز المصريين رهائن لديه لمدة ثلاثين عاما، فارتبط الرهائن عاطفيا بالجاني، وبدأوا بالدفاع عنه، بعد أن قام بالإفراج عنهم مجبرا !!

لكل ثورة أخطاء، ويتوقف نجاح الثورات على مدى ما تعترف به من أخطاء، فتحاول أن تصلح منها، وكان من أخطر ما حدث بعد ٢٥ يناير، أن بدأ البعض يتحدث عن وجهة نظره دون أن يتقبل الآخر، وكأنه وحده يمتلك الحقيقة، ووصل الأمر إلى حد التخوين، وهو أخطر على المجتمع من النظام المستبد.

كذلك كشفت الثورة عن أن المجتمع يفتقد لقيمة الحوار؛ وبمجرد أن يعبر أي أحد عن وجهة نظره، يفاجأ بمن يحاولون النيل منه بألفاظ نابية، وكلمات بذيئة لا علاقة لها بوجهات النظر المحترمة، لأن أساس الحوار الاختلاف. والاختلاف على حب الوطن قمة التفاهم، والمجتمع الذي يفتقد قيمة الحوار هو مجتمع مازال أمامه الكثير حتى يتغير، وإن اعتقد أن ثورته قد نجحت.

كان هناك مؤيدون لأن يكمل الرئيس مبارك مدته الدستورية، وتعاطف الكثيرون معه. وكانت هناك وجهة نظر أخري ترى ضرورة رحيله. ولكن بعد أن رحل مبارك، وظهر هذا الكم البشع من الفساد والظلم والتدهور، بدت وجهة النظر الثانية هي الصائبة، وهى الأفضل والأنسب لصالح الوطن.

وحدث نفس الأمر، بالاختلاف على استمرار شفيق كرئيس للوزراء، ولكن كانت حدة الاختلاف شديدة،

وتعرضت شخصيا لهجوم شديد، لمجرد أنني كنت أرى ضرورة رحيل شفيق. ولكن بعد يوم واحد من رحيله، رأينا ملفات هائلة يتم إحراقها في أمن الدولة، وكأنه كان هناك غطاء يمنحهم المشروعية قد تم هدمه، وباتوا كأنهم في العراء، فهل هناك علاقة فعلا بين رحيل شفيق، وإسراع ضباط أمن الدولة بإحراق ملفات كثيرة لديهم ؟!!

وبدأت بعض الأصوات تتحدث عن أن ميدان التحرير لا يمثل كل المصريين، وهى حقيقة لا جدال فيها. ميدان التحرير هو مجرد رمز، لكن كل قطعة جغرافية على أرض مصر الآن هي ميدان التحرير. ميدان التحرير هو السويس الباسلة، والإسكندرية الشجاعة، هي كل مصري خرج لكي يطالب بحقه، ولم يرض لنفسه أن يصبح عضوا في "حزب الكنبة".

إلى هؤلاء الذين مازالوا ينظرون لشباب ثورة ٢٥ يناير أنهم "وقفوا حال البلد" ، أرجوكم الصمت مطلوب. فإذا كنتم فضّلتم الخضوع والخنوع، وأن تدفنوا رؤوسكم لمدة ثلاثين عاما، فأرجوكم أن تقولوا خيرا، أو لتصمتوا قليلا ...

إلى كل من نشر فوضى التخوين، واعتبر نفسه وصيّا على الثورة، الثورة ليست حكرا على أحد، وليست ملكا لأحد بعينه، هي ثورة شعب بالكامل، لا أريد لأحد أن يتكلم عني، ولا يمثلني، أريد أن يتكلم كل من شارك في الثورة عن نفسه فقط وتطلعاته ...

إلى كل من يتحدث حتى الآن عن أن شفيق رجل جيد، والآخر يتحدث عن أنه رجل من النظام الفاسد، كفى حديثا، ولنبدأ صفحة جديدة في حب الوطن، لنبدأ ننظر للأمام، ولا نلتفت للخلف، لأن الثورة من أسوأ ما تفرزه المتربصين ....

دعوة كي نتخلص جميعا من متلازمة ستوكهولم. أن نسامح ونتعاطف إذا كان الجاني أخطأ في حقنا الشخصي، ولم يخطئ في حق وطن بالكامل. ندع التاريخ يعطي درسا لكل من يفكر في أن ينهب أو يسرق هذا الوطن من جديد، إن لكل ظالم نهاية، وأننا قضينا على فرعونا واحدا، لا لكي يظهر لنا الآف الفراعنة، وأننا أنهينا ديكتاتورية شخص واحد، لا لكي تظهر لنا أمّة ديكتاتورية !

ليه حقول لا للتعديلات الدستورية ؟

١٥ مارس ٢٠١١

ما لبث المجتمع المصري أن خلُص من الجدال حول بقاء أو رحيل أحمد شفيق، حتى دخل المجتمع في جدال من نوع آخر، حول التعديلات الدستورية، وكنت أرفض هذه التعديلات شكلا وموضوعا.

في البداية، لا بد من التأكيد على حقيقة أن الأهم من اختيار نعم أو لا، هو المشاركة في الاختيار، لأن المشاركة السياسية هي البداية الحقيقية للديمقراطية التي نتطلع إليها جميعا. كذلك لابد من التأكيد على أن طموحات الشعوب المشروعة لابد أن تتقبل أكثر من وجهة نظر ، طالما أن الأرضية التي يتحرك منها الجميع هي حب الوطن.

الاختلاف على حب الوطن هو قمة التوافق، والاختبار الحقيقي لثورتنا العظيمة هو أن نبعث برسالة للعالم بأن الشعب الذي صنع التاريخ، يستطيع أن يكمل دربه، وأن ثورتنا لم تنتهِ بسقوط النظام، ولكنها بدأت ...

كذلك لابد ألاّ ننساق وراء آراء، لمجرد أن من يتبناها شخص مثقف أو مفكر أو قانوني فَذ، وقبل أن نختار لابد أن نفكر جيدا وجديا، ونقرر دون أن يؤثر أحد علينا. هناك من

يؤيد فكرة التعديلات وله مبرراته المشروعة، وهناك من يرفض وله مبرراته المشروعة

بعدما تظهر نتيجة الاستفتاء، علينا جميعا أن نرضى باختيار الأغلبية، لأن الديمقراطية لا تعني أبدا أن يتوافق مجتمع بالكامل على أمر واحد. وأعتقد أن الاختبار الحقيقي لنجاح الثورة هو مدى قبول الطرف الذي اختارت الأغلبية رأيا يخالفه.

يوجد الكثير من التحفظات على التعديلات الدستورية، وبالتالي نحن بصدد الحديث عن تعديلات سيئة على دستور معيب. وواقعيا دستور ١٩٧١ تم اسقاطة بشرعية ثورية خلقتها ثورة ٢٥ يناير. التعديلات الدستورية قد تؤدي إلى نصف استقرار، ونصف استقرار أمنيا يعني نصف فوضى !

كان الأولى أن تركز التعديلات على صلاحيات الرئيس التي قد تخلق فرعونا محترما، بنفس قدر الاهتمام بالمبالغة في فرض شروط على حق الترشيح. حيث يتعارض هذا التقييد المجحف لمبدأ المساواة أمام القانون، وإن كان تقييد حق الترشيح أمرا طبيعيا، وإن لم يكن ضروريا ، ولكن لا يجوز أن يترتب على حق قانوني إسقاط حق قانوني آخر.

فلو اختار العالم المصري أحمد زويل أن يترشح للرئاسة – وللأمانة لن اختاره لأنني أراه في مكان آخر يضيف فيه للبلد أكثر– هو عالم لا يستطيع أحد أن يشكك في مصريته وحبه

لمصر وإخلاصه لها، زوجتها سورية لا تقل عنه مصرية، لماذا يمنعه الدستور من الترشح لمجرد أنه اختار أن تكون زوجته غير مصرية !!

كذلك إطلاق يد الرئيس في اختيار نائبه، تعني أن الرئيس القادم له الحق أن يختار ابنه نائبا له، وبالتالي لماذا لم تنص التعديلات على انتخاب نائب الرئيس حتى يختاره الشعب، ويكون المجال أفضل لاختيار شخصيات على قدر المنصب والمسئولية، بدلا من أن نتركها لهوى الرئيس !

يكفيك أن تعرف أن المادة ٧٧ تحدد مدة الرئاسة بأربع سنوات.. والمادة ١٩٠ غير المطروحة للتعديل تقول: "تنقضي مدة رئيس الجمهورية الحالي بانقضاء ٦ سنوات من تاريخ إعلان انتخابه رئيسا للجمهورية !!

الجمعية التأسيسية المنوط لها عمل دستور جديد، لا يوجد في التعديل ما يلزم الرئيس والبرلمان من عملها أو من عمل دستور جديد! كذلك البرلمان سيكون معظمه من الإخوان المسلمين (مع احترامي لهم) وفلول الحزب الوطني وبعض رجال الأعمال وذوي النفوذ، وبالتالي برلمان لا يعبر بشكل حقيقي عن الحياة السياسية المصرية، هو برلمان لا فائدة منه. فالتسرع بعمل انتخابات برلمانية قد يقتل فكرة التغيير، والمهم ليس وجود برلمان، ولكن الأهم وجود برلمان له فاعلية.

كذلك قد ينص الدستور الجديد على إلغاء مجلس الشورى، فكيف لأعضاء مجلس الشورى أن يشاركوا في انتخاب اللجنة التأسيسية المنوط لها عمل دستور جديد.

بعد مرور التعديلات، يعني ذلك إننا رجعنا للدستور المعيب ٧١، والذي لا تنص أي من مواده على حق المجلس الأعلى للقوات المسلحة في إدارة شئون البلاد. وبالتالي وجود المجلس سيصبح غير دستوري، وإن كان وجوده الآن به قدر من المشروعية، فذلك لأن الدستور معطل من بعد تنحي الرئيس.

لو افترضنا مرور التعديلات، وتم عمل انتخابات برلمانية ورئاسية، وتم الدعوة لعمل دستور جديد، فكيف يستمد كل من الرئيس والبرلمان شرعيته من دستور تم إلغاؤه؟ ولو تم تمرير الدستور الجديد، فنحن بحاجة إلى عمل انتخابات رئاسية وبرلمانية جديدة وفقا لمشروعية مستحدثة !

وبالتالي يكمن الحل في عمل فترة انتقالية مدتها من عام ونصف لعامين، يكون فيها مجلس حكماء من الشخصيات ذات القبول الشعبي، تكون مهمتها إدارة البلاد، بغطاء من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وبالتعاون مع الحكومة. ويتم تشكيل لجنة تأسيسية لعمل دستور جديد. وستسمح هذه الفترة بوجود مناخ سياسي، ويستوعب المجتمع المصري التغيير الذى طرأ على المجتمع، وإطلاق المناخ السياسي لأحزاب

سياسية جديدة، مما يخلق توعية ثقافية وسياسية من أجل أن تكون ديمقراطية حقة، وليست ديمقراطية "عشان نخلص" !!

وبالتالي أعتقد أن تمرير التعديلات الدستورية سيؤدي إلى مأزق دستوري، لتواجد المجلس الأعلى للقوات المسلحة بدون غطاء دستوري، وسيؤدي إلى الدخول في أكثر من اختبار ديمقراطي من خلال أكثر من أربعة انتخابات في وقت ضيق، والمجتمع غير مؤهل لهذا الكم سواء أمنيا أو مجتمعيا أو سياسيا.

سيظل أكثر المستفيدين من تمرير التعديلات الدستورية هم الإخوان المسلمين، لأنهم الأكثر تنظيما في الشارع السياسي المصري- وهذا لا يقلل منهم- ، وفلول الحزب الوطني، والذين سيعودون بأقنعة جديدة من أجل الدخول في الحياة السياسية من جديد، وعدد كبير من الشرفاء الذين اختاروا أن يقولوا لا للتعديلات الدستورية من نابع حب الوطن.

رسالة إلى سيادة المشير !

٢٧ مارس ٢٠١١

بعد التحية ..،

بداية، لابد أن أشكر سيادتكم، وكل رجال قواتنا المسلحة على دورهم في حماية ثورتنا الجميلة. ولكن لابد أن أذكركم، وأذكر نفسي بأن الشعب هو وحده حامى الثورة وليس الجيش، دون أن ينتقص ذلك شيئا من وقفتكم الشجاعة إلى جانب الثورة بحكم مصريتكم الخالصة، قبل أن يكون بحكم انتمائكم العسكري.

لا يختلف أحد على أن أهم أسباب قيام ثورتنا العظيمة هو التعامل الوحشي وغير الآدمي من الشرطة المصرية تجاه المواطنين، وكان آخر عهدنا بذلك أثناء دفاعنا المستميت عن ميدان التحرير ضد بلطجية النظام وفلوله، واعتقدنا - أو تمنينا - أننا نسطر آخر عصر الإهانة للمواطن المصري بخلع الرئيس السابق.

حتى جاءت اللحظة التي تأكدنا أن ذلك لم ينته بعد، فقام الجيش المصري بفض اعتصام الثوار الغاضبين بمنتهى الوحشية، والتعامل بفظاعة مع عدد كبير من الثوار والثائرات، فتجاهل المصريين ذلك بحجة أن " الجيش والشعب إيد واحدة"،

وظهرت قيمة تجاهلنا ذلك برسالة اعتذار من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، مغلفة بطمع في رصيد سماح لدى الشعب يسمح بذلك.

وساعد على تناسي ذلك الموقف المُخزي، دخول المجتمع بأكلمه في مناقشات حول التعديلات الدستورية بين مؤيد ومعارض، ورغم أن الأغلبية اختارت "نعم"، فكان قرار سيادتكم بعمل إعلان دستوري، وهو ما يدل على أن نتيجة التعديلات لم تكن لتؤثر على فكرة عمل إعلان دستوري! ورغم التخبط المشروع في الإعلان عنه حتى الآن، إلا أننا بدأنا نشعر أن الثورة في مرحلة خطيرة، وبات البعض يتحدث عن أن الثورة لم تحدث بعد !

ومن منطلق أنكم جزء من الثورة، دون أن يكون ذلك فضل منكم علينا، وإنما فضل الله على شعب أراد الحياة فاستحق الحرية، أتمنى أن أعرف لماذا حتى الآن لم يأخذ الجيش خطوة إيجابية في ضرورة اعتقال صفوت الشريف و زكريا عزمي ؟!، حتى وإن لم يُحاكموا الآن، فنحن نريدهم في إطار إقامة جبرية، زكى نقتل بعضا من هواجس الثورة المضادة، التي قد تحدث من فرط حُسن نوايانا ورقة قلوبنا!

عندما يحدث الفعل، لابد أن يكون هناك رد فعل. وهو ما يعني إن حدوث أي ثورة في العالم، لابد أن يترتب عليها ثورة

مضادة. والعلاقة طردية بين حجم أخطاء الثورة، وحدوث الثورة المضادة. وبالتالي عندما يظل أعداء الثورة طلقاء يمارسون حياتهم بكل حرية، فهذا هو أكبر أخطاء الثورة، والذي قد يؤدي إلى حدوث الثورة المضادة.

خاصة وإذا أخذنا في الاعتبار أن هناك رجال أعمال، وميليشيات عسكرية " أمن الدولة"، وفلول النظام يمثلون معطيات جيدة لعمل ثورة مضادة. أي أن كل المعطيات التي أدت لحدوث ثورة في مصر، يقابلها معطيات مماثلة قد تساعد على عمل ثورة مضادة ...

وإذا أخذنا على سبيل المثال، أن اليوم فيه ٢٤ ساعة، وأن الرئيس مبارك أو أحد رجال نظامه أو المنتفعين منه، يقضون ١٠ ساعات في النوم، و١٠ ساعات في ممارسة حياتهم الطبيعية، يتبقى أربع ساعات سيفكرون فيها جديا في كيفية عمل ثورة مضادة، أو كيفية الخروج بأفضل الخسائر، أو دون خسائر نهائيا !!

إذا أخذنا مع هذه المعطيات حاصل ضرب الجيش في الشعب، وجمعناه على وجود فراغ توعوي سياسي وثقافي بين أكثر من نصف المصريين الذين قد يصفقون لثورة مضادة، وطرحنا منه عدد المثقفين والسياسيين وشباب الثورة، وقسمناه على كلمة "ثورة"، لوجدنا أن الناتج لا يبشر بكل الخير.

ما قد يغفر للجيش، هو إن لعبة السياسة ليست ملعبه، رغم إجادة الجيش في الهجوم والدفاع. ولكن يا سيادة المشير السياسة لعبة قذرة لا تمارس بالنوايا الحسنة، ولا برصيد السماح المتبادل، ولا بهذا الحزم الرقيق.

يا سيادة المشير، كان الأولى من القبض على البلطجية الذين يروعون الناس بالأسلحة البيضاء، القبض على كل رجال النظام السابق، ووضع الكثيرين منهم تحت إقامة جبرية، لأنهم يروعون الناس بأسلحة أشد فتكا، خاصة عندما يشعر مواطن مصري أن الثورة لم تأتِ بشيء، فهل هناك شيء أخطر من هذا على ثورتنا العظيمة.؟.

يا سيادة المشير، انطلاقا من أن المجلس الأعلى فاعل رئيسي، ولأنه بالضرورة يعبر عن ما يريده الشعب في هذه اللحظة، هذا ما أتمناه من سيادتكم، قد تكون أمنيات شخصية، لكن الحد الأدنى منها طموحات شعب بأكمله، كي ننقذ ثورتنا التي باتت هي كل ثروتنا الآن:

١- إصدار مرسوم بالقبض على كل من قد يضر بثورتنا سواء كان من رجالات الحزب الوطنى أو من جهاز أمن الدولة أو كل من قد يصبح خطرا على ثورتنا، أو وضعهم تحت إقامة جبرية.

٢- أن يكون الإعلان الدستوري منظما فقط لحياة حزبية قوية بإطلاق يد الأحزاب، تنظيم الحياة المصرية في كل جوانبها ماعدا الجانب السياسي، التأكيد على ضرورة عدم استخدام أي شعارات دينية في المرحلة المقبلة لأي اعتبارات، وضرورة تشكيل لجنة لعمل دستور جديد، لتكون الانتخابات الرئاسية ثم البرلمانية في ٢٠١٢.

٣- فتح تحقيق فوري في كل الانتهاكات التي تمت من الجيش والشرطة العسكرية في حق أي مصري أو مصرية خرجوا من أجل أن نحمل نحن وسيادتكم شرف كلمة "الحرية".

٤- الشفافية الواضحة في كل المحاكمات والتحقيقات التي تتم ضد الرئيس مبارك ورجال نظامه البائد، وإطلاع الإعلام على كل التفاصيل، وسرعة محاكمة قاتلي الشاب السكندري خالد سعيد، ولتكن حتى محاكمة عسكرية، فهم ليسوا أقل بلطجة أو عدائية من المجرمين الذين عاثوا في مصر فسادا وإرهابا أيام الثورة.

٥- إطلاق حملة يشرف عليها لجنة تابعة لمجلس الوزراء من أجل القضاء على محو الأمية في مصر في غضون ستة أشهر، يشارك فيها كل من يريد أن تصبح مصر أكثر إشراقا.

٦- استبعاد كل القيادات الإعلامية التي مللنا نفاقها، وإعطاء دور أكبر للإعلام لكي يلعب دورا في عمل توعية سياسية وثقافية للمجتمع بالكامل.

٧- تغيير كل قيادات الجامعات من رؤسائها وعمدائها ووكلائها، وأن يكون اختيارهم بالانتخاب بين الطلاب، لتعود الجامعة كما كانت هي الملاعب التي يتدرب فيها الشباب على الديمقراطية.

يا سيادة المشير، قبل أن ينفذ رصيد السماح لدينا، ونصبح في زمن يعز فيه "شحن" الرصيد، ويسهل فيه "شحن" النفوس لثورة جديدة، ثورة مضادة سيقوم بها الشعب نفسه على ثورته العظيمة، ثورة منّا علينا، أرجو أن تنقذوا الثورة بإجراءات بسيطة، لكنها ستريحنا جميعا، وتزيد من رصيد السماح لدينا.

في النهاية، أريد أن أؤكد أن موقف الجيش العظيم ليس دَيناً على الشعب، بل واجب فرضته اللحظة التاريخية، وأتمنى قبل أن تتحول عبارة" الجيش والشعب إيد واحدة" من واقع ملموس إلى مجرد شعار لا قيمة له، أن يأخذ الجيش والشعب بناصية مصر إلى بر الأمان، لنرى مصر كما نتمناها جميعا ... وشكرا

جهاد الكيبورد وجهاد الشارع !

٣٠ مارس ٢٠١١

تم تمرير التعديلات الدستورية، وكنت سعيد بالنتيجة رغم تصويتي برفضها. وتم تجاوز بعض سلبيات تمرير التعديلات، بإعلان دستوري ينظم الحياة في مصر. وهذا الإعلان الدستوري لم يكن الأول في تاريخ مصر الحديث، حيث كان هناك إعلان دستوري صدر من القائد العام للقوات المسلحة عام ١٩٥٣، وأنهى دستور ١٩٢٣ بعد الثورة آنذاك.

لأول مرة في التاريخ المصري الحديث يحرص المصريون على الوقوف في طوابير من أجل الاستفتاء. وكانت تمثل مظهرا حضاريا غاية في الروعة، أضاف لرصيد الثورة المصرية إلا من بعض المشاهد التي حاول فيها الإسلاميون بمختلف اتجاهاتهم التأثير على البسطاء، بالحديث عن إن رفض التعديلات الدستورية هو رفض للشريعة الإسلامية، والقبول بها هو قبول بالشريعة الإسلامية.

حاول البعض من الإخوان والسلفيين، بيع الوهم للبسطاء، في أن يختاروا باسم الدين. وخرج أحد شيوخ السلفيين ليعلن عن انتصار مدوي للإسلام في "غزوة الصناديق"، وأن هؤلاء الذين رفضوا التعديلات عليهم أن يجدوا وطناً آخر لهم غير مصر !

الفزّاعة .. اسم يوحى بقدر من الرعب والقلق، وصفة لصيقة بجماعة الإخوان المسلمين، اعتاد النظام على تصدير مثل هذه الصفة داخلياً وخارجيا، ليظل قابعاً على أرواحنا، يمارس ديكتاتوريته واستبداديته المعهودة، ومحاولة قذف الرعب في قلب المجتمع الغربي بأنه إما الاستبدادية المطلقة أو الإسلاميين الإرهابيين.

يواجه المجتمع المصري في ذلك التوقيت بعض العقبات في طريق بناء دولته ذات الطموحات المشروعة للجميع. مجتمع يستوعب كل الأفراد بغض النظر عن توجهاهم واتجاهاهم وقناعتهم. مجتمع يحترم الآخر، مهما زاد حد الاختلاف، اختلاف دون خلاف، وصراع دون صدام، وحراك دون تحريك.

يجب أن نرفع جميعاً القبعة لكل من تواجد بالشارع قبل ووقت الاستفتاء ليؤثر، حتى لو كانت في تأثيره جزء من اللامشروعية، ولكن يُحسب لهم أهم تواجدوا. وعلينا قبل أن نلومهم لأهم أثروا في أغلبية بسيطة صامتة، أدت لغلبة كفة الاستفتاء، أن نلوم أنفسنا أولاً، وعلينا قبل أن نتهمهم بالاستغلالية أن نحاول دراسة فن الاستغلالية بشرف!

المجتمع المصري يمر الآن بحالة تكاد تشبه الفوضى. هو أمر طبيعي للغاية، بل أمر ضروري، ليتحول المجتمع المصري من

مجتمع يحكمه الفرد الديكتاتور إلى مجتمع ديمقراطي، يصل إلى طموحاته المشروعة. هذه الفترة الانتقالية تحتاج للفعل أكثر من القول، وللقول أكثر من مجرد الاستماع، نحتاج دورا مجتمعيا يتعامل مع الوضع الراهن بمرونة وحكمة وسرعة.

كان من ضمن أسباب رفضي تمرير التعديلات الدستورية، عدم أهلية المجتمع لكم هائل من الاختبارات الديمقراطية في وقت ضيق للغاية، دون أن يتناقض ذلك مع أهلية المجتمع لديمقراطية، ربما أعظم من الديمقراطيات الغربية مجتمعة. نمر بوقت عصيب للغاية، وكان الأولى من انشغال المجتمع برفض وقبول تعديلاتن عليها كثير من التحفظات، أن ينشغل أكثر بترتيب حياة حزبية قوية، وخلق إعلام له دور أقوى، في محاولة خلق وزيادة الوعي لدى الأغلبية البسيطة. دور هام وضروري للإعلام الحكومي حتى يغفر بعضا من ذنوبه وخطاياه، بدلاً من أن نفتح الباب على مصراعيه لخلق أبطال من ورق، ومجرمين بلباس شرفاء، هم ملوثون بدماء أبرياء.

وبما أن التعديلات قد تم تمريرها، فعلينا جميعا أن نحترم رأى الأغلبية، نحترم كل من اختار نعم بقناعاته، وليس بقناعات الغير التي تُكفّر كل من قال لا، ويتهمهم بأنهم ديمقراطيين وعلمانيين وربما يساريين واشتراكيين وقريشيين، وبدا الحديث عن نوع جديد من الغزوات، غزوة الصناديق، وربما نسمع قريباً عن محاولة نشر الإسلام بين مسلمي مصر!

علينا جميعا أن ننتقل من "جهاد الكيبورد" إلى "جهاد الشارع"، أن ننتشر في العالم الحقيقى الذى صنعنا منه تاريخا أبهر العالم أجمع ،بدلاً من أن نتواجد في العالم الافتراضي، الذي ربما ساهم بشكل كبير في صناعة هذا التاريخ، أو لنقل أن كليهما متكاملان. نحتاج لدور موازٍ لنشاطنا "الفيسبوكاوى" في الشارع. كل مساحة جغرافية في مصر الآن هي ميدان التحرير، وكل فرد يعتقد أنه يمتلك الحق الإلهي في تكفير الغير، والطعن في طموحاتهم المشروعة، هو ديكتاتور جديد يحتاج لأن نزيحه عن كرسيه بمجرد ملء فراغ!

نملأ الفراغ كل منّا بأدواته، وبما يملك، حتى وإن كان القليل. نخلق دورا لكل من ليس له دور، نبنى مصر التي نتمناها، ويظل شهداء ثورة ٢٥ يناير في أذهاننا. ثورتنا لم تنته بسقوط النظام، ولكنها بدأت. بدأت ثورة جديدة على سلوكياتنا وعاداتنا ومفاهيمنا المغلوطة، ثورة لتصحيح المسار، أو لبدء المسار، ثورة للداخل كي تنتقل للخارج بسلاسة، كي نوصل رسالة لكل من قد يضر المجتمع بأننا موجودون، وأن مصر ليست لعبة في أيادي بعينها لها مصالح شخصية، ولا لفئة بعينها تعتقد أنها الأصح، لمجرد أنها ترفع شعار الدين. محاولات أسلمة أو أسلفة الثورة هي سرقة تساوى الشروع في قتل أمة بالكامل.. أمة قد تمرض، لكنها لا و لم ولن تموت.

حَبس الثورة!!

٩ أبريل ٢٠١١

القلق على ثورة ٢٥ يناير هو قلق مشروعن وربما شرعي. فقيم الحب تُعلمنا أن نخاف على أجمل ما نمتلك، خاصة إذا كان أجمل ما نمتلكه هو حياة، حياة شعب بالكامل.

قامت الثورة لتقضى على نظام فاسد، وليس لتقضي على شخص النظام الفاسد. لم تقم لمجرد إزاحة مبارك عن كرسّيه. ولذلك أعتقد أن إنقاذ الثورة ليس بمليونية أخرى، وربما ليست الأخيرة، بقدر ما يتجسد إنقاذ الثورة فى القضاء على وجوه النظام البائد، تلك الوجوه القبيحة التي مللناها جميعا، هي قمة صراع أولوياتنا الآن.. الآن تعنى الآن!.

ويتوقف مدى تنفيذ ذلك على مدى قوة المجلس الأعلى للقوات المسلحة، أو لنقل على مدى قلقه المشروع على ثورتنا التي هللت بأن "الجيش والشعب إيد واحدة"، ولأننا "إيد واحدة" ويفترض أننا نقف على نفس الأرضية التي يُشكّل ميدان التحرير روحها وروحانيتها، يجب أن يكون المجلس الأعلى أكثر قربا للشعب من ذلك.

وبافتراض أنه يعرف جيدا ما يريده الشعب، سيصبح التساؤل الأهم هو، هل المجلس الأعلى لديه القدرة ليقوم بخطوة كهذه؟!، هل يحتاج لملفات إدانة لأشخاص النظام السابق، أكثر مما يظهر للعيان والبيان من ملفات إدانة؟!

المجلس الأعلى يقبل استقالة زكريا عزمي بعد أن أحرق وأتلف كل المستندات التي قد تدينه، فلك أن تتخيل أنه استمر لمدة تزيد عن الشهر يحرق في الأوراق، فكم كانت تحمل هذه الأوراق من إدانة؟، وكم كانت تحفظ حقوق وطن نهبها الفاسدون؟!!

ولأن الخبر قُرأ بنشوة لدى البعض، فأعتقد أن من نجا من السكتة القلبية بعد أن قرأ في جريدة المصري اليوم في حوار فتحي سرور مع الأستاذ محمود مسلم، عندما أطلق سرور مفاجأة مدوية ،كنّا في انتظارها، بأنه هو من تنبأ بالثورة، وأنه أول من كتب عنها وحلم بها وغنى لها، أكثر مما غنّى علينا، قد يموت بالذبحة الصدرية!.

وأما عن آخر فرقة الثلاثي المرح، صفوت الشريف، مع تحفظي الكامل على "الشريف"، فهو يحاول أن يخرج علينا بما قد يأتي على البقية الباقية، بإعلانه قريبا عن إنشاء حزب جديد، أو ربما قد يتم تعيينه رئيسا لمجلس الشورى الذي حدد الإعلان الدستوري صلاحياته!.

عندما يظل ثلاثتهم طلقاء، فهذا بالمقابل يعنى حبس الثورة وخنقها، ويظل شبح الثورة المضادة مبتسما في فضاء مصر الرحب، يعبث بأمنها، ويتآمر على مواطنيها!.

أخشى أن أسمع يوما من حفيدي بعد عمر طويل، بأن فتحي سرور تنبأ بثورة ٢٥ يناير، وقام بها رجال الحزب الوطني، وأن مبارك رحل ليترك مدير مكتبه يعمل بجد واجتهاد، وأن العظيم صفوت الشريف هو من دشن حياة حزبية جديدة في مصر بعد الثورة.

ولن أكلف نفسي عناء سؤاله حتى: تعرف إيه تأتى عن عمو فتحي؟!، ومدير مكتبه مازال يعمل.. يعنى إيه يعمل؟!.. وما معنى كلمة دشن؟!.. حتى لا يسألني هو كيف قام المجرم خالد سعيد بابتلاع لفافات البانجو، رغم حرص الشرطة الكامل على إنقاذه من ذلك؟!

ما زلت كلما أتابع أحوال البلاد والعباد من بعد ثورتنا المجيدة، أسمع في داخلي هذا المثل الصيني الرائع: إذا مات السيد، فاقتل حتى كلبه، لأنه لن يكون وفيا لغير سيده، مع اعتذاري الواجب لكل الكلاب !!

هل تعرفون ما معنى حبس الثورة؟!

رومانسية المجلس الأعلى

تمر مصر الآن بحالة من التخبط، من مصر الملهمة المتفائلة، إلى مصر التي لا تعرف حالتها. لأننا وجدنا مصر بعد الثورة لم تختلف كثيرا عن مصر قبل الثورة ...

لعب المجلس الأعلى على رصيد لدى الشعب، ظن هو أنه يكفي كي نسامحه إذا ما أخطأ. وكنا بعد الثورة مباشرة على يقين بأننا لدينا رصيد كبير يسمح، ولكن إذا ما خرجت رسالة بصوت الشعب تؤكد "عفوا رصيدكم الحالي لا يكفي "، كيف سيكون الوضع ؟! ..

المجلس الأعلى يُدير البلاد برومانسية خجولة، ومصر تحتاج الآن إلى الحزم والحسم أكثر من أي وقت مضى. المجلس الأعلى يبرع في كتابة بيانات للشعب، ونسي أن عددا كبيرا من الشعب لا يقرأ، ومن يقرءون قد أصابهم الملل، ربما من البيانات المكررة، والصياغة الأبوية.

هناك .. يقف مجموعة من الشباب، أشبه ما يكونوا بهؤلاء الذين كانوا يقفون في ميدان التحرير، وربما هم هم، وربما منهم، ولكن تغيرت الجغرافيا فقط، فوجدوا أنفسهم أمام كلية الإعلام يطالبون برحيل العميد، فتدخلت الشرطة العسكرية كي تفض اعتصامهم مستخدمة كل ما أُوتيت من قوة وترهيب وتعذيب.

وهناك .. مكان آخر .. يخرج بعض السلفيين معلنين إنهم سيذهبون للكنائس لتفتيشها، كي يجدوا الأخوات المسلمات، فلا نسمع صوتا ولا حتى صدى صوت للمجلس الأعلى! ويقف بعض المسيحيين أمام مبنى ماسبيرو يرفعون أجندة يرفضها مسيحيو مصر قبل مسلميها، فلا نسمع من المجلس الأعلى " لا حس ولا خبر" !!

هل لو طُبق القانون على منع السلفيين من فكرة اقتحام الكنائس، كان المسلمون سيخرجون كي يلعنوا القانون والنظام دفاعا عن الإسلام ؟! .. وهل لو طُبق القانون على منع المسيحيين من الاعتصام أمام ماسبيرو وتعطيل البلاد والعباد، كان المسيحيون سيخرجون كي يلعنوا القانون والنظام دفاعا عن المسيحيين ؟!

دولة القانون هي التي نحتاجها الآن. دولة تكفل الحق للجميع، حرية مسئولة، حرية لا تشعل فتيل فتنة طائفية، ولا تشوه صورة الإسلام بين المسلمين أكثر مما تشوه صورهم في العالم. نريد تطبيق القانون بحزم وحسم على الجميع دون اختلاف.

المجلس الأعلى يقبل بوزير داخلية لا يستطيع إجبار الشرطة على العودة إلى الشارع لحفظ الأمن، فلابد أن تتم إقالته فورا، حتى لا يؤدي الفراغ الأمني المقصود من خلق خريف الثورة المضادة في عز ربيع ثورتنا !

هناك .. في صعيد مصر تُذبح الثورة على أطلال الفقر، وهنا نسمع من البسطاء مقولات تلعن الثورة والثوار ممسكين برغيف الخبز وحفنة الماء وبعضا من الأمن وقليلا من الحرية !

كلما سمعت نفي خبر ما، أكون على يقين بأنه يحمل شيئا من الحقيقة. ينفي الرئيس مبارك فكرة الاعتذار للشعب، فتخرج بعض الصحف تؤكد من مصادرها أنه سيعتذر وأخرى تنفي، وأخيرا هو ينفي. الرئيس مبارك ليس عليه أن يعتذر للشعب، ولكن يعتذر لخالد سعيد ومريم فكري، ولكل شهداء الثورة، ولكل ضحايا التعذيب، أريده أن يعتذر للشاب الذي استشهد في ميدان التحرير في موقعة الجمل ممسكا بيد صديقه وهو يترف، ويخبره: لا تترك الميدان إلا ومصر حرة .... هل مصر أصبحت حرة ؟!

لا أعلم من اقترح فكرة الزحف إلى إسرائيل- وإن كنت أثمناها - لكنها فكرة في منتهى السذاجة، نجحنا في عرض فكرة محترمة، وفشلنا في اختيار التوقيت السليم.

لو أن مليون مصريا نجحوا في عبور رفح إلى غزة، ودخلوا في مواجهة مع العدو الصهيوني .. كيف كان سيكون حال مصر .. هل هكذا يتم تحرير الأقصى، ومازالت الشعوب العربية تبحث عن تحرير قيود الظلم والاستبداد والذل ؟! .. وهل تم تحرير مصر ؟!

يعتقد الكثيرون أننا خرجنا من الميدان بتنحي الرئيس مبارك، ولكن لابد من التأكيد أننا مازلنا جميعا في الميدان، خرجنا من الميدان الأصغر إلى الميدان الأكبر، أنهينا ثورتنا الأولى، كي نكمل ثورتنا الأخرى، مازال العدو قائما، والحرية خجولة، والثورة قائمة .. ولكن هي ثورة مضادة.

خرج عدد كبير من رموز النظام السابق من السجون لدواعي صحية، أو لدواعي عدم كفاية الأدلة. وظل رموز الحزب الوطني وبلطجيته، وهم يقاربون مليون ونص المليون، يلعبون في الميدان بحرية، هم يبحثون عن "حرية" ونحن نريد "حرية"، هما يريدون حرية كما اعتادوا هم، حرية في سرقة ونهب وسلب الوطن، ونحن نريدها حرية بطعم الحياة.. الحياة الكريمة.

المجلس الأعلى كان يستطيع، بشيء من الحزم، أن يكتب النهاية السريعة لمسلسل كاميليا، وفيلم عبير، وكان يستطيع أن يحمي الثورة أكثر من ذلك بكثير. هو ليس تخاذل بالتأكيد، ولكن المهمة ثقيلة. ولكن لكل مقام مقال، كان المجلس الأعلى رقيقا رومانسيا في مواقف تحتاج إلى الحزم، وكان حازما حاسما في مواقف تحتاج إلى اللين ..

ثورة ٢٥ يناير، تشبه "التورتة" الجميلة، والشعب هو من صنعها بمهارة بالغة فأحسن صنعها، والمجلس الأعلى هو من

بيده أن يضع عليها بعض "الكريز" و "الفاكهة الجميلة"، وهو من يستطيع أن يضع عليها بحُسن نية بعض "التراب" !!

الثورة لا يسرقها أحد سوى أصحابها الذين تكاسلوا عنها، وفكرة أسلمة أو أسلفة الثورة هي شيء من قبيل المزحة ثقيلة الدم، الثورة يسرقها أصحابها عندما يعتقدون أن ثورتهم انتهت.

مائة يوم من الثورة

بعد مرور مائة يوم على الثورة المصرية، كان لابد من حساب الإنجازات التي تحققت، والوقوف على التحديات التي تعوق إكمال المسيرة. واستهل المجلس الأعلى للقوات المسلحة اليوم المائة من الثورة المصرية، بتهنئة الشعب المصري وتأكيده على الحفاظ على مكتسبات ثورة ٢٥ يناير.

وأكد المجلس الأعلى ،في رسالة له عبر الفيس بوك ، تأكيده على انحياز المجلس الأعلى والقوات المسلحة إلى جانب الثورة منذ اللحظة الأولى لانطلاقها، وحماية الثورة وشرعيتها، حتى يتم الانتقال السلس والآمن للسلطة، بالإضافة إلى دعم التجربة الديمقراطية المصرية حتى تؤتى ثمارها في المستقبل القريب، بدولة مدنية تحتل المكانة المرموقة واللائقة لحضارة هذا البلد العريق.

وكذلك العمل على استقرار مصر، ودفع عجلة الإنتاج، حتى يستعيد الاقتصاد المصري عافيته، فتتحقق أماني هذا الشعب العظيم في حياة كريمة. حماية النسيج الوطني لهذه الأمة ضد المحاولات الخارجية لتمزيقه، والحفاظ على قوته التي تميز بها على مدار آلاف السنين.

ويمكن القول إن أهم الإنجازات التي تحققت بعد مرور مائة يوم على الثورة، هو صدور أمر قضائي بحبس الرئيس مبارك، وحبس زوجته، ومعظم رجال النظام السابق، بما فيهم الثلاثي المرح صفوت وسرور وعزمي، وانتقلت الجغرافيا هذه المرة كي تسجل تاريخا جديداً، من ميدان التحرير إلى سجن طرة، حيث

يقبع فيه معظم رجال النظام السابق، ولأول مرة في التاريخ حكومة بالكامل ونظام بالكامل خلف القضبان.

وأضاف ذلك لقيمة ثورة ٢٥ يناير، بأن أظهر المصريون إنهم شعب متحضر، فهم لم يعدموا حكامهم -كما حدث في الثورة الفرنسية العظيمة- ، ولا هم قتلوا الرئيس وزوجته أمام مرأى ومسمع من العالم أجمع -كما حدث في الثورة الرومانية -، ولا هم أعدموا كبار رجال النظام السابق دون محاكمات عادلة -كما حدث في الثورة الإيرانية- ، وإنما ارتضى المصريون تطبيق دولة القانون.

كذلك كان من أهم إنجازات الثورة، حدوث نقلة كبيرة ونوعية في السياسة الخارجية المصرية، التي نجحت في وقت قياسي في تحقيق المصالحة الفلسطينية بين حركتي فتح وحماس. وبدت مصر أكثر قوة، مما أثار قلق إسرائيل التي اعتادت على السمع والطاعة لمدة ثلاثة عقود كان المتحكم في سياساتنا الخارجية فيها بمثابة "كتر استراتيجي" لهم.

كذلك ظل منصب أمين عام جامعة الدول العربية مصري بامتياز، رغم أن مصر خسرت وزير خارجية محترما بقيمة نبيل العربي، إلا أنها كسبت منصبا سيضيف له الرجل الكثير في قادم الأيام.

كان من أهم إنجازات ثورة ٢٥ يناير، تعيين رئيس وزراء من قلب الثورة، حلف اليمين من ميدان التحرير، حيث تم تعيين عصام شرف كرئيس للوزراء، بعد إقالة أحمد شفيق الذي

كان بمثابة أول تحد للثورة، لأن وجود الأخير في هذا المنصب الحساس فتح مجالاً للاختلاف والخلاف، في وقت كانت مصر فيه في أمسّ الحاجة للتقارب لا التباعد.

كذلك من أهم إنجازات ثورة ٢٥ يناير، إلغاء جهاز مباحث أمن الدولة، وإنشاء قطاع الأمن الوطني بدلاً منه، حيث كان جهاز أمن الدولة هو يد النظام، التي تبطش وتعذب وترهب أبناء الوطن، فجاء قرار إلغائه بمثابة انتصاراً آخرا للثورة.

كذلك كان من أهم إنجازات الثورة، خلق صورة رائعة لمصر في كل أنحاء العالم، وبدت فيه مصر ملهمة للجميع، وأصبحت الجنسية المصرية مصدر فخر واعتزاز، بعد عقود من الذل والهوان. فأضافت الثورة لمصر تلك القوى الناعمة التي ستساهم بشكل كبير في صناعة تاريخ مستقبل الوطن.

هذه هي أهم الإنجازات وليست كلها، فالثورة في حد ذاتها إنجاز جامع مانع، لا يضاهيه إنجاز. وفي المقابل ظهرت بعض التحديات في طريق الثورة، وهو أمر طبيعي لمتجمع يتحول من نظام ديكتاتوري، يعاني من فساد مؤسسين إلى نظام ديمقراطي، يكفل الحرية والعدالة للجميع.

شكلت الثورة المضادة أهم تحديات الثورة المصرية. وتمثل صعوبة التحدي في أن الثورة المضادة تُحاك ضد مصر من الداخل ومن الخارج.

من الداخل، من هؤلاء الذين قضت الثورة على مكانتهم التي استمدوها من قهر البسطاء وسرقتهم ونهبهم، فكانت الثورة لهم بمثابة الكابوس الذي يريدون بكل ما أُوتوا من قوة أن يزيحوه عنهم، فحاول البعض القيام بعمليات ترهيب وتخريب ونشر الشائعات.

ومن الخارج باتت بعض الأنظمة العربية، في قلق من الثورة المصرية، لأن الثورات مُعدية، ولأن فكرة التغيير تشيب لأجلها رؤوس هؤلاء الذين اعتادوا على سرقة ونهب شعوبهم. فحاولوا التأثير بالسلب على اقتصاد مصر، من خلال منع تدفق الاستثمارات، وخرجت بعض التكهنات عن إمداد فلول النظام السابق بالمال والدعم، من أجل محاولة إفشال الثورة المصرية.

وذهب بهم الفُجر أن حاولوا مقايضة شعب ضحى من أجل الحرية، بعدة مليارات من الجنيهات! حاولوا أن يشتروا الثورة، بمحاولة الضغط لعدم محاكمة الرئيس، والضغط بورقة الاستثمارات، ونسوا أن الشعوب فقط هي التي تبقى، في حين يفنى الحكام جميعا.

حاولوا شراء دماء الشهداء ببعض المليارات. ظنوا أن كل شيء في الدنيا قد يشترونه بالمال، كمن يحاول شراء الهواء من أجل أن يمنع الآخرين من التنفس. ظلوا يمكرون ويمكرون، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

ونتج عن ذلك تحديا آخرا للثورة المصرية، وهو تدهور الاقتصاد المصري، لدرجة أن خرج المجلس الأعلى ليؤكد أن تدفق الاستثمارات على مصر وصل إلى صفر. وبالتالي بدت التحديات متشابكة مترابطة مُقلقة، وخرج البعض ليردد مقولات بأن مصر مُقدمة على ثورة جياع !

كذلك كان من أهم التحديات التي وقفت عقبة في تاريخ الثورة المصرية، وبعد مرور مائة يوم عليها، هو الفراغ الأمني، أو الخجل الأمني، حيث تراجع دور الشرطة في حماية الأمن، وكأن الشرطة تحاول أن تجعل بسطاء المصريين يتمنون يوما من أيام الرئيس مبارك، ويعاقبون هؤلاء الذين خرجوا من أجل الحرية. يظنون أن الحرية التي استشهد من أجلها المئات، هي لهؤلاء الذين خلعوا الرئيس، ولا يعلمون أن الحرية لكل المصريين.

وبات البعض يردد ساخراً، بأن شعار الشرطة في خدمة الشعب، الذي رُفع بعد الثورة مباشرة، هو شعار وليس واقع، وبدا الشعار الأقرب لوزارة الداخلية المصرية بعد مرور مائة يوم من الثورة هو " اطمن .. وإبقى طمني عليك " !!

كذلك شكّل موضوع الفتنة الطائفية تحديا آخر في طريق الثورة المصرية، فهو كان بمثابة شوكة في حلق الثورة المصرية، حيث تحولت المدينة الفاضلة التي كانت في ميدان التحرير، والتي احتضنت المسيحيين والمسلمين في جسد واحد يرددون

الحرية لكل المصريين، إلى أزمة يحاول المجتمع أن يساهم في حلها.

الفتنة الطائفية هي لغم، زرعه النظام البائد من أجل أن يشغل المصريين عن مطالبهم المشروعة، وكذلك حدث بعد الثورة. حيث انشغل المصريون بمشكلات طائفية، عن المشكلات والتحديات الحقيقية التي تواجه الثورة المصرية. وما أن يتم السيطرة على لغم طائفي حتى ينفجر الآخر من جديد في جسد الوطن.

كذلك من أهم التحديات التي واجهت الثورة المصرية، بروز المطالب الفئوية. وهي حق مشروع، ولكن التوقيت كان خاطئا. حاول بعض المصريين البسطاء، أن يأخذوا نصيبا من كعكة الثورة، ولا يعلمون أنهم - بحُسن نية - يشاركون في الثورة المضادة.

خرج البعض ليطالب بكل حقوقه التي حُرم منها على مدار ثلاثة عقود، يطلب كل شيء في نفس الوقت، في وقت صعب في تاريخ الدولة المصرية، فشكّل ذلك عبئاً إضافياً على كاهل الثورة.

كذلك من أهم تحديات الثورة المصرية، حالة الملل الثورية التي أصابت بعض المصريين، نتيجة تدهور الحالة الاقتصادية والأمنية، لدرجة أن البعض كان يتحدث عن الثوار باعتبارهم جُناة وذئاب نهشوا جسد النظام الضحية.

كذلك من أهم التحديات، عدم وجود أحزاب قوية تستطيع التنافس فيما بينها، وظل الإخوان المسلمون هم الأقوى تنظيما، وإن كان تأثيرهم على الحياة السياسية المصرية ليس كما يتخيلون. يتحرك الإخوان بعد مائة يوم من الثورة بشكل من التعالي، وكأنهم وحدهم من في الملعب، وهم القادرون فقط على إحراز الأهداف السياسية. نسي بعضهم - أو أنساهم الشيطان سهوا - إن تصويت المصريين لهم في عهد النظام البائد كان نكاية في النظام، ليس حبا في الإخوان، وإنما كُرها للنظام ورجاله وحزبه غير الوطني.

كذلك طفا السلفيون على سطح الأحداث بشيء من العشوائية، كمن كان يعيش عمرا في الظلام، ثم فجأة خرج في نور ساطع، فباتت أعينهم من صدمة النور لا ترى إلا القليل.

أصبح كل هم السلفيين - ليس كلهم بالطبع - هو محاولة تخليص الأخوات اللاتي أسلمن من تعذيب الكنيسة وسجنها لهن. بات الإسلام كله بعظمته، هو تحرير الأخوات، وضرورة تفتيش الكنائس المصرية من أجل ذلك، فزادوا بحُسن نية، وبسوء نية، الطين بلة، وساعدوا في الثورة المضادة بشكل كبير، وبدت محاولات أسلمة وأسلفة الثورة حاضرة في الأذهان.

نسيوا فقه الأولويات، فشمّتوا فينا من يدينون لولاية الفقيه. وكأن حديث إيران عن أن الثورة المصرية تشبه ثورتهم الإيرانية التي جاءت بنظام إسلامي ذا مرجعية دينية، لتصبح إيران هي

الدولة الدينية الوحيدة في العالم، هو كلام في طريقه لأن يصبح حقيقة. حاولوا أن يأخذوا بعض بريق الثورة المصرية بأن يتشبهوا بها.. فلابد أن يعرفوا جميعا أن مصر ليست إيران !

ميدان التحرير أفرز أجمل ما في المصريين، وانحسر الأسوأ في القاع حيث زبانية النظام. وبعد مرور مائة يوم من الثورة، أفرزت الثورة المضادة أسوأ ما في المصريين، وبدأ يتبدد الأجمل في محاولة للنجاة. ولكن سيبقى الأجمل حاضراً فينا، كلما تذكرنا صور شهداء ثورة ٢٥ يناير، كلما استدعينا تلك المدينة الفاضلة التي عهدناها في ميدان التحرير أثناء ثورة ٢٥ يناير.

مائة يوم من الثورة .. حققت فيها مصر الكثير والكثير، وطفت بعض التحديات "الطبيعية" على سطح الأحداث، ويتوقف حجم تلك التحديات على مدى إيماننا بثورتنا، ومدى اليقين بأننا على الطريق الصحيح سائرون.

هل بعدما ننتظر ٣٠ عاما من الفقر والذل والهوان، لا نستطيع أن نتحمل بضعة أشهر في سبيل الحرية والحياة الكريمة ؟! .. سنصبر .. وسنصير يومًا ما نريد، وسيتحول ذلك إلى واقع ملموس، حتى ولو مرت مئات الأيام على الثورة المصرية العظيمة .. ثورة ٢٥ يناير.

مصر يوم ٢٧ مايو ..

يوم الجمعة ٢٧ مايو ٢٠١١، بعد مرور حوالي أربعة أشهر على الثورة، خرجت دعوات من بعض القوى الوطنية وشباب الثورة، إلى مليونية جديدة في ميدان التحرير، أُطلق عليها جمعة الغضب، والبعض الآخر أطلق عليها جمعة الثورة الثانية، في حين أطلق عليها المعارضين لها من الإخوان المسلمين يوم "جمعة الوقيعة" !

كانت هذه هي المرة الأولى التي يختلف فيها من قاموا بالثورة، حول ضرورة الخروج من عدمه، ففي حين رأى عدد كبير من شباب الثورة، ومن بعض القوى الوطنية ضرورة المشاركة من أجل وأد الثورة المضادة، والمطالبة بتعجيل المحاكمات، رأي التيار الإسلامي أن هذه الجمعة الهدف منها الإنقلاب على شرعية الاستفتاء، وأنها إن كانت جمعة غضب، فهو غضب موجه ضد من ؟!

تساءل التيار الإسلامي ببراءة، أن الغضب موجه ضد من؟، وكأن مصر بعد مرور أربعة أشهر من الثورة قد حققت كل ما تريد، وأن الغضب لا يوجد ما يستدعيه، وظن الإخوان، ومعهم السلفيون، أن عدم خروجهم يوم الجمعة هو بمثابة إفشال لجمعة الغضب.

وأعلن الموقع الرسمي للإخوان أن تلك الجمعة هي جمعة الوقيعة، وبدأ يقدم الإخوان أنفسهم كما قدم الحزب الوطني نفسه قبيل ثورة ٢٥ يناير. حاول الإخوان هذه المرة أن يقدموا فزاعة للبسطاء ولأنصاف المتعلمين: أن هؤلاء الاشتراكيين والعلمانيين يريدون الوقيعة بين الشعب والجيش !

وفي نفس الإطار الذي تخلى فيه التيار الإسلامي عن الخروج، أعلن المجلس الأعلى للقوات المسلحة أنه لن يتواجد في الميدان، ولسان حاله يقول إن عليكم حماية أنفسكم أيها الثوار. وكان ذلك عبر رسالة منه على صفحته على الفيس بوك، وهو ما أثار القلق، حيث أن ليلة الجمعة، حاول كثير من المساجين الهروب من عدة أقسام متفرقة في القاهرة والإسكندرية. وإذا ربطنا ذلك بعدم وجود الجيش في ميدان التحرير، وكذلك عدم وجود الشرطة، التي مازالت لا تريد أن تعود بكامل طاقتها لتمارس مهامها في حماية أمن البلاد والعباد، لوجدنا أن تلك الجمعة قد يحدث فيها كارثة، وقد يحاول فيها بعض البلطجية الهجوم على الميدان كما حدث في يوم موقعة الجمل، كان لزاما علينا أن نضع أمام أعيننا أسوأ الاحتمالات !!

كانت هذه هي مطالب من وافقوا على الخروج يوم الجمعة، المطالب العامة. لم يكن كل من وافق على الخروج يوم جمعة الغضب الثانية، قد وافق على كل هذه المطالب. قد يكون رأي سببا واحدا كافيا لكي يخرج، وليس مبررا واحدا واهيا كي لا يخرج، وكانت المطالب عامة كالتالي:

- المطالبة بمجلس رئاسى مدنى مؤقت منتخب من الثوار.

- الابقاء على وزارة د/ عصام شرف مع تطهيرها من الوزراء المحسوبين على النظام السابق، وتعيين من يتوافر فيه النزاهة و الكفاءة والمعارضة للنظام السابق.

- رفع حالة الطوارئ فورا، والافراج الفورى عن كل المعتقلين المدنيين و العسكريين بالسجون المدنية والحربية الرسمية و السرية قبل الثورة و بعدها، و الغاء المحاكمات العسكرية للمدنيين، وتشكيل لجان عن طريق نوادى القضاء و القضاء العسكرى تقوم باعلان أسماء كافة السجناء فى مصر، و التهم والأحكام الصادرة ضدهم،وفتح باب تقدم السجناء بالتظلمات لهذه اللجان، و إجراء مراجعة و بحث لحالتهم.

- محاكمة قتلة شهداء الثورة محاكمات فورية، والاقتصاص لحقهم، وتقليد أسماء الشهداء أعلى الأوسمة فى الجمهورية، وتخصيص المقابل المادى للأوسمة لأسر الشهداء، وتقدير التعويضات المادية و المعنوية التى تتناسب مع التضحيات التى قدموها لمصر.

- محاكمة مبارك و أسرته وأركان حكمه محاكمة فورية بحضور المدعى (الشعب)، وذلك بإذاعة المحاكمات على القنوات التلفزيونية، بتهم إفساد الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر إلى جانب المحاكمة الجنائية.

- اتخاذ الاجراءات اللازمة الفورية لاسترجاع ثروات مصر المنهوبة، و مصادرها داخل و خارج البلاد، سواء المعلوم عنها أو غيرالمعلوم.

- إعادة هيكلة وزارة الداخلية فوراً ، وحل جهازي الأمن القومى (جهاز أمن الدولة سابقا) ، و تحويل اختصاصاته للمخابرات العامة، وجهاز الأمن المركزى، والتحفظ على رجالهما، وسرعة إصدار القوانين التي تساعد على حفظ الأمن و تحفظ كرامة المواطن وحرياته الأساسية، مع السيطرة على الحالة الأمنية المتدهورة بمنتهى الحزم.

- إطلاق حرية إنشاء الأحزاب،والجمعيات، و النقابات، و إصدار الصحف والمجلات ووسائل التعبير والقنوات التلفزيونية والإذاعية بدون قيود، مع المحاسبة الفورية على الخروج عن الأخلاق وإثارة الفتنة الطائفية، والتطهير الفورى للإعلام وإعادة هيكلة المؤسسات الإعلامية المصرية.

- إقالة النائب العام، وتعيين نائب عام مشهود له بالتراهة و المعارضة للنظام السابق، و تشكيل لجان ثوريه نيابية من القانونيين الشرفاء فى كل المحافظات، لملاحقة المفسدين و إجراء التحقيقات، و فتح الباب للتقدم بكل ما يثبت حالات فساد من أدلة و شهادات.

- تطهير القضاء بشكل كامل، و تنظيم انتخابات داخلية لاختيار رؤساء المحاكم.

- إحالة كل قيادات الحزب الوطنى الديموقراطى إلى المحاسبة، بتهمة إفساد الحياة السياسية و نهب مقدراته و تخريب الأقتصاد، على أن يحظر على أعضائه ممارسة الحياة السياسية فى مصر لمدة ٥ سنوات على الأقل، و يسمح للعضو بعد انقضاء مدة الحظر بالمشاركة، فقط فى حالة تقدمه باقرارات الذمة المالية، والتدقيق فى اصول ممتلكاته، واسترجاع حقوق الشعب منها.

- حل المجالس المحلية، وإحالة اختصاصاتهم للجهات المعنية، وتعيين المحافظين الجدد بالانتخاب.

- وقف تصدير الغاز لأسرائيل بشكل رسمى، ونهائى مع مطالبة إسرائيل برد فروق الاسعار رسميا، ومحاكمة المتورطين فى هذة الصفقة المشينة محاكمة فورية.

- تشكيل لجنة من الخبراء لتحديد الحد الأقصى والحد الأدنى للأجور، و توزيع الأجور نسبة للمعايير العالمية، و يبدأ العمل بها فوراً.

- تشكيل لجان ثورية في جميع الإدارات الحكومية والقطاع العام والإعلام الحكومي و الوزارات و الهيئات و المؤسسات و الجامعات و البنوك. يتم تشكيل هذة اللجان عن

طريق الانتخاب المباشر داخل تلك المؤسسات، تحت إشراف مباشر من القضاء. و تقوم هذه اللجان بتعيين القيادات الجديدة للمرحلة الإنتقالية، على أساس الالتزام بالشروط الفنية والإدارية الواجب توافرها من حيث الكفاءة والخبرة. وتقوم اللجان الثورية بتعيين مندوبين من خريجي كليات الحقوق لتلقى جميع الشكاوى فى الإدارات الحكومية والقطاع العام وتسجيلها والتحقيق فيها.

- تنظيم انتخابات داخلية فى القوات المسلحة، تبدأ من انتخابات بين الضباط والصف والجنود لاختيار قادة الوحدات الفرعية، الوحدات، وانتهاءً بانتخاب قيادات الجيوش و القوات، والأفرع الرئيسية، والإدارات، رئيس الاركان.

- انتخاب فورى لشيخ الازهر ، بواسطة جميع خريجي الكليات الاسلامية التابعة لجامعة الازهر، بعد وضع شروط الترشيح الفقهية و المؤهلات و التزاهة و الشخصية القيادية بواسطة هيئة كبار العلماء، و إعطاء الحق للترشح لكل من توافرت فيه هذة الشروط، ليكون الازهر مؤسسة دينية مستقلة قائمة بذاقما.

- تقوم لجنة من الكنيسة المصرية، بواسطة رئاسة الكنيسة من القيادات الكنسية، بترشيح لجنة من كل التخصصات — يتم الموافقة عليها فى استفتاء لمسيحيي مصر، تحت إشراف قضاة

مسيحيين – تكون هذه اللجنة ممثلة لمسيحيى مصر فى المرحلة الانتقالية، و تختار هذة اللحنة مندوبا لها يحضر جميع إجتماعات مجلس الرئاسة، و له الحق فى إبداء الرأي و المشورة، و تسجيل الاعتراض رسميا فى محاضر المجلس.

- تطهير وزارة الخارجية و المؤسسة الدبلوماسية المصرية بشكل كامل.

- يتم تشكيل لجنة منتخبة مكونة من ٣ أعضاء من القضاة ،وعضوين من أساتذة القانون بالجامعات، وعضو من أساتذة الدستور، وعضوين من نقابة المحاميين، وعضو من أساتذة العلوم السياسية. تقوم اللجنة بوضع قانون الانتخاب، والذى تجرى على أساسه كل الانتخابات السابق ذكرها، و يتم الاستفتاء علي مواده من قبل الشعب.

- انتخاب اللجنة التأسيسية للدستور، بحيث تضم قضاة وعالم أزهر، و رجلا من رجال الكنيسة، و عضوا من أساتذة كل من المجالات الآتية: الاقتصاد و الإعلام و الادارة والعلوم الاجتماعية و المحاميين والهندسة و الطب و الدبلوماسيين و من قيادات الجيش و الشرطة و عضوين من الشباب الجامعى شاب و فتاة، و يتم انتخابهم كل فى مجاله. و يجب أن تشتمل اللجنة على هذة المجالات، نظرا لشمولية الدستور، و لضمان اشتراك كافة اطياف المجتمع فى وضع الدستور.

وبعد وضع اللجنة التأسيسية لمواد الدستور، يتم اجراء استفتاء للشعب علي مسودة الدستور، كل مادة على حدة، و ينظم الاستفتاء القانون الانتخابي الجديد، و يتم تقديم الطعون و الفصل فيها.

كانت هذه المطالب ، في حوالي نصفها، تعبر عن مطالب مصرية مشروعة، بعد مرور أربعة أشهر من الثورة، حيث عدالة بطيئة، وأمن غائب ومُغيب، مجرمون وقتلة أحرار، ثوار مسجونون بأحكام عسكرية، قضاء مُجهَد.

كنت أعترض على المطلب الأول بوجود مجلس رئاسي مدني، رغم أنني كنت طالبت به في وقت معين. ولكن مصر في هذه المرحلة تحتاج لأن يكمل المجلس الأعلى مدته المتبقية، وكي لا يدخل المجتمع في سجالات ومناقشات حول الآلية والكيفية. وكذلك كنت أعترض على ما يقرب من نصف هذه المطالب.

لكن أهمية وأولوية المطالب الأخرى كانت تفرض ضرورة النزول إلى ميدان التحرير مرة أخرى، وإلى كل ميادين مصر، خاصة وأن يوم الجمعة، لا يتم فيه تعطيل مصالح البلاد، وأن المطالب تدعو إلى التظاهر وليس إلى الاعتصام.

ركز الإخوان المسلمون فقط في كلمة الغضب، وفضّلوا تسميتها جمعة الوقيعة، ولم يجدوا سببا واحدا من هذه الأسباب يكون مدعاة لخروجهم، فخسروا تعاطف كثير من شباب الثورة، الذين شاركوهم أياما عديدة في ميدان التحرير.

جاء يوم الجمعة، وخرج مئات الآلاف في القاهرة، وفي عدة محافظات، حتى وصل تقدير عدد من خرجوا في الإسكندرية وحدها أكثر من نصف مليون. وشهد ميدان التحرير حالة متفردة من الجمال، حيث ظللت غيمة كبيرة ميدان التحرير، وتساقطت الأمطار فارتوت القلوب، وبات اليوم أكثر روعة وجمالا في غير وجود من رفضوا النزول، وفي ظل غياب الشرطة والجيش.

غابت الشرطة، فنجح الثوار في توقيف الكثير من الشباب، ممن حاولوا دخول ميدان التحرير ومعهم مسدسات وأسلحة بيضاء. ومرّ اليوم بسلام، وكسبت مصر يوما أضاف لرصيد ثورتها الجميلة. وخاب وخسر مَن خاب وخسر، وغاب الجيش، فنجح الثوار في حماية الثورة، غابوا هم جميعا.. وحضرت مصر.

كانت جمعة استعادة روح الميدان كما أسميتها، هي يوم مهم من أجل التأكيد بأن ثورة مصر ليست لطرف دون آخر، هي ثورة لكل المصريين، لا يستطيع فصيل واحد أن ينجحها أو حتى يقلل من نجاحها.

وبالتالي هي ليست ثورة ثانية، لأن ثورة ٢٥ يناير هي الأولى القائمة دون نهاية. وهي جمعة غضب ثانية، لأن هناك أحداثا كثيرة في مصر بعد الثورة تستدعي هذا الغضب، وهناك مبررات كثيرة للنزول.

حاول الإخوان المسلمون أن يظهروا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة أنهم ملائكة، ولا يريدون أن ينزلوا ميدان التحرير، ويشاركوا الثوار جمعة الوقيعة- الوقيعة بين الجيش والشعب على حد تعبير الإخوان- أي أن الإخوان أطلقوا فزاعة الوقيعة، وحددوا هم أطراف الوقيعة، ووقفوا على خط محايد يغسلون أيديهم من عار هذه الجمعة !!

ربما لأن الإخوان، وفي هذا التوقيت بعد مرور أربعة أشهر من الثورة، هم أكبر المستفيدين من الوضع الراهن في مصر، حيث انتخابات برلمانية هم أكثر المستعدين لها، حتى ولو كانت مصر غير مستعدة.

كذلك كنت أرفض أن تكون هذه الجمعة للانقلاب على نتائج الاستفتاء ،لأننا ارتضينا الديمقراطية، وحتى وإن كان للديمقراطية أنياب، فنحن ارتضينا اختيار الأغلبية.

جاءت جمعة ٢٧ مايو، لتوجه رسائل عديدة، أهمها للمجلس الأعلى بأن يتناسب إيقاعه أكثر مع إيقاع مصر بعد الثورة. ولا أحد ينكر دور المجلس الأعلى، ولا ثقل المهمة الملقاة على عاتقة، ولكن صناعة التاريخ دائما تكون صعبة، ونحن نثق في المجلس الأعلى.

كذلك رسالة إلى كل فصيل في المجتمع أن يعرف حجمه جيدا، وأن لا أحد يمتلك الثورة. الثورة هي كل المصريين. والمصريون الشرفاء هم الذين يضعون مصلحة الوطن فوق أي مصالح شخصية لهم. نجحت مصر يوم ٢٧ مايو في اختبار مهم للغاية، وأضافت لرصيد ثورة ٢٥ يناير نقطة مضيئة كانت مصر في حاجة لها.

ديكتاتورية الثوّار!!

أكثر ما يقلقني على الثورة، ليست موجة السلفيين ولا تخوفات صعود الإسلاميين. لأن قواعد اللعبة سيحددها دستور، وسيحميها الشعب الذي ضحى من أجل الحرية. ولكن ما يقلقني هم الثوّار أنفسهم. فأنا كنت في الثورة، و لم أُفوض أحدا ليتكلم نيابةً عني. والثورة ليست صك ملكيةٍ يمنح ويمنع ويحتج ويرفض، وليست ورقة ضغط، نضغط بها على الوطن، كي لا ينفجر الوطن.

فجّر الثوّار ثورة ٢٥ يناير، وأخشى أن يفجروها، بين اختلافات على حق التمثيل في مؤتمر للحوار الوطني، لا أعتقد أنه يضيف لرصيد الثورة، بل ينتقص منها الكثير، لأننا وطن قد شبع حوارات على مدار أكثر من خمس عقود، و لم نتخلص من ديكتاتورية الفردن كي ننتقل إلى ديكتاتورية الجماعة، أو ديكتاتورية القلة الحاكمة أو ديكتاتورية الثوّار!!

أصبح البعض من الثوّار يتعامل بمنطق إنه يمتلك الحقيقة، وأنه من حرّر الوطن، فله الحق أن يستعبد أمة، من فرط ما غرقت في العبودية، بات البعض يشتاق لها بين الحين والآخر. أخطر ما أفرزته الثورة هو فقدان المجتمع لقاعدة حوار، تضيف خطوة إلى الأمام، ولا تعود بنا ألف خطوة إلى الوراء.

ومرحلة التخبط ،التي نعيش فيها الآن، أمر طبيعي للغاية، إن أدركنا نحن ذلك، وإن نجحنا أن نصل بهذا الشعور إلى الأغلبية الصامتة التي قد تصبح في أي وقت وقوداً للثورة المضادة، حيث إن مصر مازالت في مرحلة انتقالية. ورغم الهم الاقتصادي، إلا أننا دولة خرجت لتوها من فساد استشرى في كل جسد الدولة لعقود كثيرة.

وبالتالي لا بد أن يكون الثوّار أكثر تعبيرا عن قيمة وقيم الثورة. فلا يخرج أحدهم ليردد نفس مقولات نظيف وعمر سليمان بأننا "شعب مازال أمامه الكثير كي يستحق الديمقراطية"، لأن الشعب الذي نفض عنه غبار الذل والظلم والاستبداد، يستحق ما هو أجمل وأروع من كلمة ديمقراطية.

ولا يخرج أحدهم ليهاجم الآخر، لمجرد أنه مختلف معه، ولا ليتحول الاختلاف إلى خلاف، على من أحق بأخذ قطعة من " تورتة " الثورة. فالثورة مازالت قائمة، ومستمرة، و لم تنته بَعد.

ولا بد أن نُنحي أي خلافات جانبا، كي تظل مصر همنا الأوحد، ولكي لا تتوه مصر منّا في عتمة الحوارات، وظُلمة الخلافات. مصر تريدنا جميعا أن نكون في أجمل صورة لنا كي نستحقها. أن نعود لأخلاق وقيم ميدان التحرير التي أبهرت العا لم.

ولذلك، أتمنى ممن يتحدثون باسم الثورة، أن يعرفوا جيدا أنهم لا يعبّرون عن أنفسهم فقط، إنما يعبرون عن جموع من الشعب. أناس بعدما انتهوا من مهمتهم، اختاروا أن يعودوا لبيوتهم، ولم تستهوهم عدسات الكاميرات، ومانشيتات الصحف، وبرامج "التوك شو"، ولا إغراءات الشهرة المزيفة. هم صنعوا الثورة، واختاروا أن يعيشوا في الظل كي تعيش مصر دائماً في النور .. فاستقيموا يرحمكم الله

مبارك الآخر

مبارك، هو ذلك الرجل القابع على أكتافنا منذ عقود، يشد آذاننا بضحكات صاخبة تهتز لها كل جغرافيا الوطن، ويقف التاريخ على أعتابها متحسراً متألما. وتصرخ مصر وتتوجع، وتستحلفنا أن نمد يد العون، لكن السيف كان دائما يحصد الأيادي. والعام بأكمله موسم حصاد، حصاد ألسنة نطقت بالحق، وأيادٍ حاولت أن تدفع الظلم، وبقرة حُلب كل لبنها حتى باتت ً من الوهن تخرج دما، وتتأوه دون ضجيج أو صخب. تتمنى الخلاص، وهي ممسكة بآخر أيام الربيع، وفي كل الأيام يموت الناس من الفقر عطشى، والماء يُباع.

هو رجل وُلد في رحم الانفتاح الأهوج، وخُلق من ضلع الاستبداد الأعوج، وكان شاهدا على تزاوج السلطة بالمال، وبارك السلب والنهب والقتل وكان مبارك. كان على استعداد أن يموت شعب بالكامل، ليعيش هو، ويظل من حوله يسبحون بحمده أناء الليل وأطراف النهار، ويطوفون حوله رافعين حذائه فوق رؤوسهم أجمعين، قبل أن يصحو الشعب من غفوته، ليلقي بأحذيته جميعاً على رأسه التي شابت وشيبت الوطن. مبارك هو رجل برع في صناعة اليأس.

مبارك الآخر، هو رجل مصري لم يشارك في الثورة، ولم تستهوه هي، رغم جمالها، ورومانسيتها، ورقتها، ورائحة العطر الفائحة في كل الأرجاء. ورغم أنه تمنى آلاف الثورات، هو

يقف من بعيد، يشاهد ويتابع دون حراك، ينتقد ما يحدث دون أن يعطي لنفسه فرصة أن يشارك، ولو لمرة واحدة، في صناعة الحدث، هو رجل يكره الثورة والثوّار.

لا .. هو لا يكرههم، لكنه لا يحبهم، أو يكره الأشخاص ويحب الحدث، الحدث هو ثورة .. يحبها، أو ربما حتى يكره الثورة لأنها سلبت منه الاستقرار، رغم أنه كان ينعم باستقرار مزيف، سُلبت منه كل مقومات الحياة الشريفة.

ربما اعتاد هو سنوات على الصمت، لأن الصمت كان أصل ولم يكن استثناء.. كان فرض عين وفرض كفاية. وعندما قرر أن يقطع صوم صمته، كان كلامه كله مر، غير ذي قيمة، كلام لا قيمة له ولا وزن. تكلم .. حين أصبح الصمت أعظم من الكلام !

مبارك الآخر، هو مبارك الذي لم يرحل بَعد، ومازال يعيش في أذهان الضعفاء، والجبناء، ومستغلي أنصاف الفرص. هو ذلك الرجل الذي دائماً ما يغلّب مصلحته الشخصية على مصلحة الوطن، رغم أن مصلحة الوطن، بالأساس، هي كل مصالحنا الشخصية، هي نحن في أبهى صورنا !

مبارك الآخر .. هو رجل اعتاد الاختلاف من أجل الخلاف، واعتاد الصراع من أجل الصدام، ولم يترك أبدا للمجتمع أن يعيش حالة حراك طبيعية، فاختار تحريك دون

حراك، مستغلاً حالة فقر سياسي وثقافي وربما ديني، و لم يعرف أنه ليس بالضرورة كل مفضل هو الأفضل، وأنه حتى من نراه الأفضل من وجهة نظرنا، ليس هو الأنسب، وأننا حين نختار فإننا نختار من هو الأنسب للوطن، حتى ولو لم يكن الأنسب لنا، ربما لأنه لم يعتاد أن يذوب كفرد في إطار المجتمع.

مبارك الآخر .. هو ذلك الناقم على الأوضاع، متكئا على معطيات إن حتى من قاموا بالثورة ينشرون فوضى التخوين فيما بينهم، وأن الثورة أخرجت أفضل ما في المصريين، وما بعد الثورة تجسد القبح في شخوص هؤلاء، البعض وليس الكل. أن هؤلاء الذين وقفوا رجلاً واحداً من أجل إزاحة الغم والهم المتمثل في شخص رجل، وشخوص نظامه، ها هم اليوم أصبحوا رجالا كثيرين، ما يفرقهم أصبح أكثر مما يجمعهم.

مبارك الآخر، هو من يترقب من شرُفة مترله، أو وهو متكيء في بيته، ما يحدث، معتقدا أن المعجزة بدأت وانتهت برحيل النظام، ولم يفهم بَعد، إن المعجزة هي روعة البناء وليست سرعة الهدم. وأن المعجزة الحقيقة أن يصل إليه يقين بأن دوره ضروري في صناعة المعجزة، في تصحيح المسار، وإكمال المسيرة !

المعجزة الحقيقية هي تلك الثورة التي حدثت على الذات، قبل أن تنتقل إلى المحيط الأكبر من الذات، هي معجزة إننا نستطيع التغيير، بل هي معجزة أننا –وبعد عقود من الذل

والإنكفاء- نستطيع. هي صناعة المستحيل، بل هي صناعة الأمل .

مبارك الآخر .. هو من يصنع الثورة المضادة، بسذاجة الأطفال، دون أن يدري. هو رجل قام بالثورة، وتخلى عن مبادئها، وقيمها، وأهدافها. هم بعض من الشياطين كانوا ملائكة ترفرف في ميدان التحرير ويتخطف صورهم كل أحرار العالم.

مبارك الآخر هو الوجه القبيح لمصر التي لا نريدها. هو إفرازات عقود من القهر. هو نبت غير صالح في بلد طيبة. هو شخوص عدة يتجسدون في أقبح صورنا. هو الاختبار الحقيقي أمام الثورة التي أدخلت مصر من جديد في كتب التاريخ، ورفعت شأن المصري بعد أن كان على وشك أن يندثر!

مبارك الآخر .. هو ذلك الديكتاتور الذي سنحاول أن نصنعه نحن، وإذ انتهينا سنصنع منه نصف إله، ثم يصبح هو فرعون، ونفاجأ جميعا إننا "موسى"، وأن كل شخص منا هو "يوسف" يواجه إخوته، يحبهم ولا يحبونه. هم يغارون من نوره المشرق ووجهه السمح. فنسجن ونقمع ونُلقى في بئر نحن من حفرناه، حتى يخرج جيل أرقى وأنقى وأكثر مسئولية ليزيح الديكتاتور، وينهي أسطورة نصف الإله، ويقتل الفرعون ...

مبارك الآخر - باختصار - هو تجسيد الكلام حين يُطلب الصمت، والسلبية حين تُطلب الإيجابية، وإعلاء المصلحة الشخصية حتى ولو كانت على حساب مصلحة المجتمع. هو كل عامل لا يعمل، ويطلب الأجر. وكل ثائر حاول أن يصنع من نفسه بطلاً، رغم أن البطل شعب. هو كل صاحب رأي سفّه آراء الآخرين. هو نحن وربما هم. هو ديكتاتور جديد قد نصنعه في وقت قريب!!

إذا كنا تخلصنا من مبارك بثورة عظيمة، فإن الأشخاص الذين جسدوا مبارك الآخر يحتاجون لأكثر من ثورة. ثورة على العادات والسلوكيات المغلوطة، وعلى الثقافة المجتمعية الخاطئة. هي ثورات لبناء الإنسان المصري جنبا إلى جنب مع بناء الدولة! المصرية .. وليتخلص كل منّا من مبارك - الآخر - الذي بداخله أولاً.

ثورة كمان و كمان

من يتحدث عن أن ثورة ٢٥ يناير انتهت، فليعلم أنه يقود بسذاجة الثورة المضادة. ومن يعتقد أن الثورات تولد وتموت، عليه أن يتنحى جانباً. ثورة ٢٥ يناير كانت بدايتها هي رحيل الرئيس مبارك، ومازلت مستمرة. فالثورة عمل مستمر، دون كلل أو ملل.

سَجن الرئيس مباركن وزوجته، ورجال نظامه هو تجسيد لروح الثورة القائمة بيننا، حتى وإن كنا جلوسا في بيوتنا، أو نبحث عن لُقمة العيش في الطرقات. خروج البعض منهم بكفالة على ذمة التحقيقات، وعدم محاكمة قاتلي خالد سعيد حتى الآن، هي ليست أشياء من قبيل الثورة المضادة، إنما هي بالونات اختبار، قد نفجرها، وقد تنفجر فينا، وقد ننفجر بها !

خروج المليونيات لميدان التحرير، يوم الجمعة، هو أمر ضروري، وفي صالح مصر، وفي صالح المجلس الأعلى للقوات المسلحة. الرسالة ليست لمن يحكم مصر الآن، وإنما المليونيات هي رسالة لهؤلاء الذين يضغطون بقوة على من يحكمون مصر الآن، من أجل عدم محاكمة من كانوا يحكمون مصر قبل الثورة.

الثورة حاضرة في قلوبنا، ولكن لا بد أن تخرج خارج جغرافيتنا نحن، لتملأ كل جغرافيا مصر، دون أن تكون المليونيات سببا في تعطيل حال البلاد أو حال العباد، هذا إن كانت أحوالهما لم تتعطل بالفعل.

مصر تحتاج ثورات أخرى، فالثورة الأولى أزاحت رأس الأفعى، والثورات التالية ستزيح الجسد المليء بالفساد المؤسسي، والفساد السياسي، والفساد المالي.

ثورة كمان وكمان من أجل أن نستعيد مصر كاملة من احتلال دام لعقود، حررنا الأرض دون أن ندري أن الإنسان المصري سُجن في وطن بالكامل بين الفساد والروتين والظلم.

ثورة دون تخريب أو تدمير، أو حتى مطالب فئوية، ثورة دون أي مطالب حتى، تظاهر دون اعتصام، مجرد الوقوف بعظمة وشموخ هو رسالة غير مباشرة لكل هؤلاء الذين يفكرون في أن يعبثوا بمقدرات الوطن ومكتسبات الثورة.

رسالة إلى الثورة المضادة في الخارج، وإلى الثورة المضادة في الداخل، فلأول مرة في التاريخ تنجح ثورة في وقت قياسي، وتُقابل بهذا الكم الكبير من الثورات المضادة.

ثورة كمان وكمان، ضد هؤلاء الذين يريدون سرقة الثورة منّا دون خجل، وإلى هؤلاء الذين يركبون موجة الثورة، ويعلنون أنهم من تنبأوا بالثورة، وقادوها، وبدأوها، وأكملوها،

وأنهوها.. رغم أنهم أول من لعنوها، وبكوا على الرئيس برياء يغسله دموع من دموع التماسيح. هؤلاء الذين بكوا حزنا من أجل بقاء الرئيس، وهم أول من بكوا فرحا بعد رحيل الرئيس.

ثورة كمان وكمان، على السلوكيات والعادات، ثورة لاستعادة الإنسان المصري الذي تاه من بعد نكسة موجعة في دروب الأرض، تاه دون بوصلة، وكأنه خارج حدود المكان والزمان.

ثورة كمان وكمان، من أجل أن نمنح الراحة أو قليل من الراحة لقلوب الأمهات اللاتي فقدن أبنائهن، والزوجات اللاتي فقدن أزواجهن، سُرقت منهن الابتسامة، واشتقن لطعم الضحكة الأخيرة.

ثورة كمان وكمان، من أجل شهداء الوطن، الذين طبعوا أجمل قُبلة على جبين مصر، منحوها الحرية، ورحلوا هم عنّا، أعطوها قُبلة الحياة ليذهبوا بعيدا عنّا حيث حياة دون موت.

ثورة كمان وكمان، هي مازالت الثورة الأولى التي لم تنته، ورحلتنا الأولى التي لم تكتمل، من أجل استعادة روح ميدان التحرير، ولتعود مصر ملهمة كما كانت أثناء الثورة، وشامخة كما هي اعتادت، وعظيمة كما قدّر لها في التاريخ أن تكون.

ثورة كمان وكمان، من أجل أن نغسل أرواحنا جميعاً بمطر من الحرية، ثورة على الذات كي لا نكون نحن وقود الثورة

المضادة دون أن ندري، فكم من الحماقات التاريخية ارتُكبت بحُسن نية ؟!

ثورة كمان وكمان، من أجل التأكيد على حقيقة أن مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، أفضل من مصر قبل ثورة ٢٥ يناير .. أفضل بكثير .. هكذا سيرورة الأزمان تخبرنا، وهكذا مسيرة الحياة تؤكد لنا، وهكذا مسار التاريخ يعلمنا.. ولكن دائماً .. الله أعلم.

التعريف بالكاتب

* أحمد عبد العليم حسن علاء الدين.

* من مواليد الأول من أبريل ١٩٨٨

تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، قسم العلوم السياسية، دفعة ٢٠٠٩*

*يعمل باحثاً سياسياً، وقدم عدة برامج بإحدى القنوات الفضائية.

صدر له :*

-كتاب مصر حية: عن دار شباب بوكس للنشر والتوزيع- مارس ٢٠١٠

- كتاب ثورة السلاحف: عن دار اكتب للنشر والتوزيع - نوفمبر ٢٠١٠

تحت الطبع:*

ديوان: ضَهر البيوت – أشعار بالعامية المصرية

للتواصل مع الكاتب:

البريد الإلكتروني:

Ah_eg_٢٠٠٠@yahoo.com

أو على صفحة الكتاب على موقع الفيس بوك:

كتاب مائة يوم من الثورة لــ/ أحمد عبدالعليم

الفهـــــرس